المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الخامس والعشرين

١ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٠٠ — الموافق ٧ جمادى الثانية سنة ١٣١٨

معرض باريس العام

سنة ١٩٠٠

"ودّعتُ باريس مفتونًا بِرآها ... وآسيتُ حسن تجلّى من محيّاها

وجاورتُ ملكًا رفيع الشان جاورها ... دهرًا طويلاً ولم يبرح بفِناها

روائعُ مسبطرٌ في معالمها ... وبدرهُ مشرقٌ في اوج عِلياها

مرسومة في جبين الدهر صولتهُ ... نُبِّيهُ عجبًا بأُولاها وأُخراها

وعصبةِ عصمتهم في صناعتهم ... الهةُ الحسنِ فاستهدوا بسناها

وخلّدوا ذكر ارباب السيوف ومن ... فاق الورى حجةً او فاقهم جاها

اوخاض بحر المعاني فاجتنى دررًا ... وصاغ منها حلى حسنٍ بهاياها

او غاص في لج بحر العلم مجتليًا ... غوامضَ الكونِ تعيا لجلوتها

وآلِ علمٍ وفضلٍ طار صيتهم ... فطبّق الارضَ اقصاها وادناها

بستورِ مازي فلامريون كلهمُ ... وبرّون سيكار ممن فاق اشباها

هم الأُولى في سماء المجد قد رفعوا ... لها منارًا وأعلوهُ فأعلاها

هذه كلماتٌ صدقٌ صغتها قدمًا ... في وصفها قبل ان تجلى خباياها[1]

وقبلما تتجلّى في مرابعها ... آيات حسن يهيج الشوق ذكراها

وقبلما تتبارى في مضارمها ... ممالك الارض اقصاها وادناها

نثرًا ونظمًا قصدتُ الوصف فامتلكتْ ... يراعتي مدهشات لستُ انساها

(١) الابيات المتقدمة قلتها في وداع باريس في رحلتي الاولى اليها وهي منشورة في غرة سنة ١٨٩٤

والمرء يحصر والاقلام يبدي بها في موقف المجد روعٌ ان تولاها
فكيف اسطيع وصفًا بعد ما ذُكرتْ يبارق المجد اعلاها واسناها
وبعد ما مُلئت من كل مُفخرة من واسع الارض اعيانًا واشباها

واي وصف وان جاد البراع به يقضي لبانة من يبغي ذكر الحقائق ويكره ان يبخس الناس اشياءهم بعد ان يرى الامة الفرنسوية العظيمة الشان الراقية اعلى ذرى المجد المشهورة قديمًا وحديثًا بامتلاكها ناصية الصناعة وقياد التجارة والوغها الشأو الابعد في العلوم والفنون ووقوفها موقفًا لا يجاريها فيه احد من حيث التفنن في اظهار عظمة الكون ومقدرة الانسان — بعد ان يراها قد افرغت الجهد لاظهار ما بلغتهُ عقول رجالها وقرائح النابغين فيها من التفنن في العلم والعمل والاختراع والاستنباط ودعت امم الارض جمعاء الى معرضها العام غير هيَّابة ولا وجلة تقول لمن هذه مزاياي وهذا اقصى ما بلغتهُ فهلمَّ الي بما عندكنَّ من بدائع الفنون وغرائب المخترعات ومتقن الاعمال وقابلنهُ بما عندي واعرضنهُ لنقد النقَّاد وحكم القضاة . ولتبارَ كلنا في هذا المضمار مضمار العمران والرفاهة . وقد اعددتُ لي ولكنَّ اجمل مدينة من مدائني بل من مدائن العالم واوسعها شوارع وارحبها ساحات واخترت اطيب بقاعها وشدتُ فيها من المباني اجملها ومن المصانع اوسعها وفسحتُ لكنَّ المجال لتشدنَّ ما تباهين به من فاخر البناء وتعرضن ما تشأن ويشاء رجالكنَّ من آثار بلادانكنَّ واعمالـــ اهاليها من مبتكرات عقولهم ومصنوعات ايديهم من قديم وحديث . فلبَّين دعوتها عن طيب نفس وجئنها خفافًا ثقالاً من اقاصي المسكونة من اوربا واسيا وافريقية واميركا وجزائر البحر من كل مملكة على وجه البسيطة وكل مستعمرة فيها وانفقن الاموال الطائلة على عرض مصنوعاتهنَّ وثمار حضارتهنَّ لا قصد المباهاة والمغالاة بل لغرض اسمى واعظم قلَّما يسعى العقلاء الاَّ اليه الآن وهو الفائدة المادية والادبية اي اتقان الصناعة وترويج التجارة وترقية العلوم والفنون والآداب لتزيد راحة الانسان وتتوفر لهُ اساليب الرفاهة

هذا هو المعرض الذي اتوخَّى وصفهُ في هذه الصفحات ويستحيل عليَّ ان اصف كل ما فيه او ان اوفي الوصف حقهُ في ما اصفهُ منهُ لاني لم استطع ان امعن النظر الاَّ في القليل مما حواهُ ولأن من هذا القليل ما تقصر عن وصفهِ كلمات اللغة . فان النعوت المألوفة عندنا من مثل العظيم والفخيم والجميل والبديع لا تصوِّر في الذهن صورًا تنطبق على ما لم ترهُ العين ولا رأت ما يدانيهِ لكن ما لا يدرك كلهُ لا يترك كلهُ وغاية ما اتوخاهُ في هذه السطور ان ابسط لقارىء الكريم بعض ما علق بالذهن مما رأيتهُ في هذا المعرض او ما علقتهُ في مفكرتي

حينئذٍ وشيئًا مما استفدتهُ من مشاهدتهِ او قرأتهُ في ما كتبهُ غيري عنهُ وبعض ما كان يخطر لي من الخواطر حين وقوفي في عرصاتهِ وقيامي امام معروضاتهِ . وقد سبقني رصيفي الفاضل الدكتور فارس نمر الى هذا المعرض والى وصفهِ في المقتطف فلم ارَ لي بدًّا من ان اقتفي خطواتهِ وآخذ بعض ما كتبهُ وازيد عليهِ ما كان يثبتهُ هو فيهِ لو قصد نشرهُ في المقتطف . ورأيت اتمامًا للفائدة ان استعين بالصور ليسهل على القارىء تصوُّر ما يقصر القلم عن وصفهِ

(١) وصف المعرض بنوع عام

لا مشاحة في ان هذا المعرض اوسع المعارض التي أُنشئت حتى الآن واجملها ولا يشاركهُ في هذا الوصف الاَّ معرض شيكاغو . لكنهُ يمتاز على معرض شيكاغو وعلى كل المعارض التي أُقيمت او تقام في غير باريس من العوالم ان المدينة التي اقيم فيها هي معرض للعلوم والفنون ومنتزه لاهل الثروة وطلاَّب الرفاهة . كيفما جلتَ فيها رأيتَ العظمة والجمال والجلال رأيت صنَّاعها وبنَّاءها ومهندسيها وخطَّاطيها قد بذلوا الجهد في ترصيعها بكل ما هو جميل يستوقف البصر ومتين يقاوي الدهر . رأيتَ كأنَّ حب الوطن وحب الجمال وحب الطبيعة وحب الرفاهة تعاونت كلها حتى تجعل باريس عاصمة العوالم ونزهة الدنيا ومقصد القصَّاد . فكيف وقد فتحت صدرها الرحيب لهذا المعرض واحلَّتهُ محل سويداء قلبها وتبارى مهندسوها ومهندسو المسكونة في إحكام وضعهِ وزخرفة مبانيهِ بما لا تكاد العين تتلىَّ من النظر اليهِ حتى تقول لها مادة بنائهِ واوضاع معروضاتهِ كل ما عليها فان وهذه منَّة الطبيعة توجد فيها بدائع الموجودات من اشكال الحيوان والنبات ثم تزول وتمحى صورها ليتلوها غيرها لما هو اكمل منها وارقى فاعيدي النظر اليَّ والاستبصار ودعيني وداع الف مفارق

الاَّ ان امتياز هذا المعرض بالسعة والجمال كثيرًا ما يدعو الى التكوِّي والملال لانهُ " معها جدَّ زائرهُ في الاحاطة بهِ وبمحاسنهِ يشعر دائمًا بقصورهِ ويتألم من تقصيرهِ عن اخذهِ بحذافيرهِ فتضيع لذة التمتُّع برؤية ما فيهِ بين ألم الشعور بالتقصير او القصور وبين تعب الجسد من الجولان وتعب الباصرة من البصر وكلال العقل عن الادراك " كما قال اخي الدكتور غرواصاب . اضف الى ذلك ما تجدهُ النفس من الانقباض حينما تعلم ان كل تلك البهاء في الفخيمة تُنقض بعد ايام قلائل ولا يبقى منها غير قصرين من قصورها . وما تراهُ العين من تعدُّد المعروضات من النوع الواحد في قسم واحد من المعرض او في اقسام مختلفة منهُ حتى كأن جانبًا كبيرًا منهُ مخزن بضائع اذا رأى المرء بعضها لم يعد يسرُّهُ برؤية ما يماثلهُ او ما يراهُ دونهُ . وهذا مما لا بدَّ منهُ في كل المعارض الكبيرة . والشرقي مثلنا يجد فيهِ اسبابًا اخرى لانقباض

النفس لا لعيب ينسبهُ اليهِ بل لعيب فينا فانهُ يرينا قصورنا وتقصيرنا وانحطاطنا عن كل امة من امم الارض. وسواء دخل القصر التركيّ والمصريّ ورأى عظمة ظاهرة ولا لباب فيها او دخل معارض الممالك الصغيرة التي انفصلت عنا بالامس مثل السرب والبلغار او الممالك الحديثة العمران مثل بيرو واليابان لا يشعر الاَّ بالحياء والخجل . وقد افاض اخي الدكتور نمر في وصف ما شعر بهِ حين دخولهِ القصر التركي قال

" وقد اشتدَّت هذه الكآبة عليَّ وضاقت الدنيا في عينيَّ لما ايقنت ان معروضات جميع الامم الدانية والقاصية والمتمدنة والمتأبدة تتفوق معروضات امتي العثمانية وان كل دولة من دول الارض قد عنيت بعرض ما يظهر تجدها وقوتها وتقدمها وثروتها وتمدنها وانتظام حكومتها الاَّ دولتنا العلية فانها اكتفت بالتشبه بالدول الاخرى في الظاهر فاقتصرت على بناء قصر باذخ لها على مثال بعض القصور والجوامع والاسواق في الاستانة ولكنها تركتهُ فارغاً من تحفها وكنوزها ونفائسها ولم تكد تعرض شيئاً فيهِ ولا في سائر اقسام المعرض غير ازياء جنودها في معرض جيوش البر وجيوش البحر . وكأنها خافت ان يتوهم الناس ان ملابس جنودها تُنسج في معامل بلادها لا في المعامل الاجنبية فعرضت معها مثال نسافة تصنع لها الآن في معمل اجنبي اطلقهُ معملاً المانيًّا وكذلك حكَّا يوضع في النسافة لتسترشد بابرتهِ المغنطيسية في سيرها واوقفت حاجباً على هذه المعروضات التي يخجل العثماني من ذكرها بجانب ما قربها من ازياء جنود روسيا والمانيا وفرنسا فسألت هذا الحاجب بالفرنسوية قائلاً أهذه كلها صُنع بلادكم فاجابني وهو يحسبني اوربيًّا نعم ان هذه تصنع عندنا في الاستانة . فتبسمتُ واشرت الى مثال النسافة والى الطربيد والحك اللذين بجانبها وقلت لهُ أتقول ان معامل الاستانة تصنع هذه ايضاً . فداخلهُ الريب لما رآني أتبسم وأعيد السؤال متعجباً وكأنهُ ادرك اني لست اوربيًّا كما توهم فاجابني لا بل هذه وغيرها تصنع خارجاً ولكنها ملك الدولة . ثم صمت وتنهد فحوَّلت وجهي عنهُ ومررت في طريقي وانا اتنهد

" وقد سألت كثيرين من العثمانيين الذين لقيتهم في المعرض عن سبب هذا الاهمال الغريب من الدولة العلية وقلت انا مهما شكونا من قصورنا وتقصيرنا فليس منا مَن يُنكر ان عند الدولة العلية وفي السلطنة العثمانية من النفائس والمصنوعات والحاصلات والادوات ما لو عرض في القصر العثماني لفاق معروضات اليونان وولايات البلقان على الاقل اذا لم نقل انهُ يفوق معروضات ايران والتركمان فما الذي جرى حتى ان دولتنا اكتفت ببناء قصر نفيم من الخارج وترك بعض الباعة يعرضون البسط والسجادات العثمانية والحلى الكاذبة والبضائع المزوقة

الباريزية ورضيت ان يخص باقيهُ بالملاهي والقهوات ومحلاَّت الرقص والخلاعة حتى ان كل من يأتي هذا المعرض من امم الخافقين يظن ان الامة العثمانية احقر امم الارض شأنًا واحطها آدابًا واقلها علمًا وادناها صناعة وزراعة وانها مؤلفة من شعوب غائصة في بحار الجهل والغباوة بعيدة عن التمدن والعمران لان كل دولة من الدول وكل امة من الامم بل كل مستعمرة حتى المستعمرات الافريقية قد امتازت معروضاتها في هذا المعرض على المعروضات العثمانية كما لا ينكر ذلك احد . فلو كانت الدولة العلية لم تشارك سائر الدول في هذا المعرض لصانت كرامتها وحفظت حرمة تبعتها . اما وقد بادرت الى تشييد قصر فخيم بين قصر ايطاليا وقصر الولايات المتحدة وزانتهُ وزخرفتهُ حتى يخالهُ الرائي من جملة تلك القصور البديعة فكان الواجب ان تحفظ مقامها ومقام الامة العثمانية في اعتبار سائر الامم وتعرض بعض ما في قصور سلاطينها من الكنوز والنفائس وبعض ما في بلادها من الاشياء الفاخرة لا سيما وان بلادها تفوق سائر البلدان في كثير من حاصلات اراضيها الخصيبة وتربتها الجيدة وتمتاز عن غيرها بكثير مما جاد الله بهِ عليها من الجماد والنبات والحيوان . وفيها من المصنوعات ما لا يصنع مثلهُ في اكثر البلاد الشرقية التي ضمت عليها في المعرض سموًّا عظيمًا واوهمت الالوف والملايين من الذين يترددون عليهِ من جميع الامصار والاصقاع انها سابقة للبلاد العثمانية بمراحل فائقة لها في الحضارة والتمدن بمراتب

وازيد على ذلك ان الحكومة العثمانية دفعت لانشاء القصر الخاص بها وعرض معروضاتها فيهِ اكثر مما دفعهُ كثير من الدول الاوربية كما ترى في هذا الجدول

دفعت حكومة النمسا	٧٥٠٠٠٠٠	فرنك
" " المانيا	٦٦٠٩٠٠٠	"
" " الولايات المتحدة	٥٠٥٠٠٠٠	"
" " المجر	٢٥٠٠٠٠٠	"
" " بريطانيا	١٨٧٥٠٠٠	"
" " تركيا	١١٥٠٠٠٠	"
" " البلجيك	١٠٠٠٠٠٠	"
" " اليونان	١٠٠٠٠٠٠	"
" " ايطاليا	٠٩٠٠٠٠٠	"
" " اسوج	٠٨٠٥٠٠٠	"

دفعت حكومة نروج	٥٦٠٠٠٠	فرنك
" " رومانيا	٣٠٠٠٠٠	"
" " البلغار	٣٠٠٠٠٠	"
" " بيرو	٢٠٠٠٠٠	"

لكنَّ الذين ائتمنتهم الحكومة العثمانية على اظهار عظمتها في المعرض وعرض بضائع بلادها فيهِ أكتفوا بتشييد قصر فخيم من اعظم قصور الدول واجملها على ما تقدم بيانهُ وكانوا يستطيعون ان يتشبهوا بسائر الدول في عرض خيرات بلادهم ومصنوعات اهاليها ولكنهم لا يستطيعون ان يجاروا اصغرهنَّ واحدثهنَّ عمرانًا في غير المواد الطبيعية فاين نظام المدارس في بلادنا العثمانية الذي يقابل بنظامها في بلاد يابان بل اين جرائدها التي تقابل بجرائد فنلندا اصغر ممالك روسيا واين شركاتها التجارية والصناعية التي تطمع في مزاحمة غيرها لعرض بضاعتها وترويج تجارتها

وكما عرَّج الدكتور ثر على القصر العثماني عند اول دخولهِ المعرض عرَّجت انا على القصر المصري فرأيت ان الشركة المصرية فعلت اكثر مما يطلب منها وبالغت في الكرم كما بالغت الحكومة المصرية في البخل فاحمرَّت نفسها وكل المشتركين معها لانها شادت بناء مصريًّا عربيًّا من اعظم المباني التي شادتها الدول العظمى واجملها لكنها وقفت عند هذا الحد من حيث حقيقة المعرض وكيف لا تقف عندهُ فليس في القطر المصري شركات صناعية حتى تعرض فيهِ مصنوعاتها من الآلات البخارية والكهربائية والهندسية والبصرية ترغيبًا للناس في ابتياعها ولا فيهِ معامل كبيرة تستطيع ان تنفق الوف الجنيهات على عرض بضائعها طمعًا بالربح الكثير من وراء ما يطلب منها لان كل ما في القطر المصري من الانوال والمصابن والمسابك وما اشبه لا يفي بالجزء الصغير من حاجة سكانهِ . وحاصلاتهُ التي تصدر منهُ وهي القطن والسكر والبصل والفول معروفة مشهورة في كل الاسواق التي تُتجر بها. نعم لو ارادت الحكومة المصرية ان تجامل الحكومة الفرنسوية وتجود بقدر من المال تشبهًا بغيرها من البلدان لوجدت في بلادها ما لا تخجل من عرضهِ في كثير من اقسام المعرض فان في مدرسة قصر العيني الطبية من المجاميع الجمادية والنباتية والحيوانية والجراحية وفي دار المساحة الجيولوجية من الحجارة والمعادن والجواهر وفي محكمداريةِ مصر من الحقائق الاحصائية وفي مدرسة الصناعة من الاشغال والمصنوعات وفي مدرسة الزراعة من الحبوب والبزور وفي سائر مدارس الحكومة من اشغال التلامذة والاحصاءات وعند النسَّاجين في المحلَّة وغيرها وعند الخراطين وعمَّال المشربيَّة في القاهرة واسيوط مالا تخجل مصر بعرضهِ وفي متاحفها ما لا مثيل لهُ في الخافقين من آثار المصريين واليونانيين والعرب حتى

لو عرضت جزءاً صغيراً منهُ لاستوقف الابصار ورأيت الوفاً من الناس يتقاطرون الى القطر المصري بعد ذلك يطلبون المزيد من رؤية ما رأوا بعضهُ في معرض باريس

ولا بدَّ من ان تعتذر الحكومة المصرية عن بخلها هذا بان في متاحف اوربا من الآثار المصرية اكثر كثيراً مما يمكنها ان تعرضهُ في هذا المعرض فيراهُ الاوربيون كل يوم وان ما سوى ذلك من مصنوعات البلاد لا يقاس بمصنوعات غيرها من البلدان ولا هو زائد عن حاجة اهلها وان حاصلاتها الزراعية قليلة الانواع يعرفها كل من يتعاطى الاتجار بها كما سبق بيانهُ . فلا داعي لانفاق النفقات الطائلة على ما لا فائدة كبيرة منهُ وان اظهار عظمة البلاد ومجدها من الكماليات والقطر المصري لم يكتفِ من الحاجيات حتى الآن فلا يليق بهِ ان يثب الى الكماليات وثوباً . هذا عذر الحكومة المصرية في ما نظن وهو احفظ لكرامتها مما فعلتهُ الحكومة العثمانية التي انفقت خمسين الف ليرة لكي تقنع الملا ان ليس في بلادها شيء يستحق العرض غير القهاوي والراقصات

ومساحة ارض المعرض ١٠٨٠٠٠٠٠ متر مربع او نحو ٢٦٠ فداناً اقيم في بطنها مبانٍ فخيمة بديعة بعضها طبقة واحدة وبعضها طبقتان او ثلاث وترك النصف الآخر طرقاً ومسالك وحدائق وخمائل . ولما تعذر وجود بقعة واحدة في باريس تكفي هذه المباني كلها شادوها في بقعتين كبيرتين الواحدة في الروض المعروف بشان دو مارس (روض المريخ) والثانية في الساحة الكبيرة المعروفة بساحة الانفاليد التي امام مدفن بونابرت وملجإ الجنود المصابة واضافوا اليهما ضفتي نهر السين اللتين بينهما وقصر التروكادرو وما حولهُ وحول برج ايفل من البقاع وجانباً مما يلي ساحة الكونكورد بنوا فيهِ قصرين ثابتين للفنون . ثم رأوا ان هذه البقاع كلها لا تكفي لعرض المعروضات ولا تشبع مطامع العارضين فاضافوا اليها جنان فان في حيث اقترح البعض ان ينشأ المعرض كلهُ . وحوَّطوا البقاع الاولى بدرابزين من الخشب فتحوا فيهِ ٣٦ باباً في جهات مختلفة منهُ حتى يسهل الولوج اليهِ من كل انحاء المدينة لا يدخل منها احد الاَّ وفي يدهِ ورقة الدخول وتُلقى الورقة اصلاً قرنك ولكنهُ هبط في اثناء المعرض حتى بلغ اربعين سنتيماً او ثلاثين عدا ما يدفعهُ الزائر الدخول الى الملاهي ونحوها كقصر الاكتشاف والكرة الفلكية وقصر البصريات وقصر الزجاج ومناجم المعادن . واختلف عدد الداخلين من هذه الابواب فصعد في بعض الايام الى ستمئة الف نفس وهبط في غيرها الى مئتي الف او اقل . وكان الازدحام يشتدُّ في بعض الاوقات وبعض الاماكن حتى يضطر المرء ان يقف في مكانهِ دقائق كثيرة لا يستطيع ان يخطو فيها خطوة واحدة لكننا لم نرَ ولم نسمع ان احداً اصيب

بمكروه من جراء ذلك لان لجنة المعرض عنيت بكل ما يحفظ نظامهُ ويجعلهُ مثالاً في الراحة والنظافة والاتقان فاولاً وضعت فيهِ اكثر من الفين من الحرّاس ورجال البوليس لحفظ الامن والنظام فيهِ ومنع كل اعتداء واختلاس وعينت جماعة من ركّاب الدرّاجات ليطوفوا حولهُ ليلاً و يغيثوا كل من يستغيث او يقع في ضيق . ولما كان نهر السين يخترق المعرض عينت جماعة من الغواصين لينتشلوا من يقع فيهِ

ثانياً . عينت ادارة طبيّة خاصة بالمعرض واقامت فيها كثيرين من الاطباء والجرّاحين وعينت لها ثلاثة اماكن فيهِ وجعلت لكل نقطة من نقط البوليس نقطة طبيّة ايضاً وذلك للمبادرة الى اغاثة كل من يصاب بآفة

ثالثاً . فتحت فيهِ سبعة مكاتب للبوسطة والتلغراف والتلفون وخمسين مكتباً عمومياً للتلفون متفرقة في جوانبهِ عدا بعض المكاتب الخصوصية للبوسطة والتلغراف والتلفون لكي يسهل على زوارهِ والعارضين فيهِ ان يتكاتبوا ويتخاطبوا و يكاتبوا غيرهم او يخاطبوهُ من غير ان يتجشموا مشقة الخروج منهُ الى اماكن البوسطة والتلغراف والتلفون

رابعاً . جعلت وسائط الانتقال فيهِ من احدث المخترعات او اعظمها اتقاناً فمنها الروافع التي يرتفع بها الناس في المباني العالية كما في بعض الفنادق الكبيرة في مصر ومنها السيور المتحركة على سطح مائل فيقف الانسان على السير منها في الطبقة السفلى فيرتفع بهِ الى الطبقة العليا و ينتهي عن الصعود على الدرج . وفي المعرض ٢٨ سيراً من هذه السيور المتحركة متفرقة في جهاتهِ المختلفة . ومنها السكة الحديدية الكهربائية ولها قطرات عديدة تتوالى كل دقيقتين او ثلاث فتسير بالراكب داخل المعرض من القسم المسمّى اسبلاناد الانتاليد الى القسم المسمى شان دو مارس ثم تدور من عند برج ايفل وقصور الدول الى ان ترجع الى اسبلاناد الانتاليد بعد ان تقف قليلاً في محطاتها الخمس داخل المعرض . ومنها المراكب الدوّارة وهي ثلاث عمائر من الخشب موضوعة احدها الى جانب الآخر الاول منها ثابت والثاني بطيء السير والثالث سريع والمشيان الاخيران يدوران بالكهربائية . ويوصل الى هذه المشي من احدى عشرة محطة وجعل المدخول اليها نصف فرنك فاذا صعد الانسان اليها فاما ان يقف على المشى الثابت منها او ينتقل الى المشى البطيء الحركة فيدور بهِ بسرعة اربعة كيلومترات وربع كيلومتر في الساعة او الى المشى السريع فيسير بهِ بسرعة ثمانية كيلومترات في الساعة . ولو لم يكن هذا الاسلوب جديداً ما ظهرت لهُ مزية على غيرهِ من طرق الانتقال لاسيما في ايام الحر واوقات شروق الشمس اذ يضطر السائر بهِ ان يقف على قصب رجليهِ في عين الشمس الى ان يصل الى الباب الذي يريد الخروج

منهُ واذا لم يسرع الى الخروج حالاً اضطرَّ ان ينزل بعيداً عنهُ ويعود اليهِ ماشياً ولذلك قلَّ استعمالهُ وافلس اصحابهُ مراراً . وفي المعرض مركبات صغيرة مثل مركبات العجزة والمفلوجين يركبها التعابى والطاعنون في السن ويذهب بهم الذين يجرُّونها الى حيث شاؤوا داخل قصور المعرض وساحتهِ او خارجها واجرة الساعة في المركبة منها فرنكان ونصف فرنك

خامساً . انشأت المصارفة في المعرض مصارف عديدة وفتحت البنوك فروعاً لها فيهِ لقضاء الاشغال المالية التي تقضيها المصارف والبنوك في سائر المدن ولا غرابة في ذلك لانهُ مدينة كبيرة قلما يكون الذين فيها اقل من مئتي الف نفس

سادساً . التفت لجنتهُ اسباب النظافة من كنس وَرَش واقامت في جهات عديدة منهُ مياول مجانية يجري الماء دائماً فيها فيغسلها وبنت مراحيض كثيرة محكمة الصنع والوضع في كل ناحية منهُ واتبعت بعضها بغاسل فيها ماء بارد وحارٌّ وجعلت اجرة الدخول اليها من عشر الفرنك الى ثلاثة ارباعهِ وجعلت لها كلها مصارف تنزح اليها فتبقى نظيفة لا رائحة لها يختلف الناس اليها رجالاً او نساء على غاية الحشمة والوقار كانهم اخوة واخوات اولاد عائلة واحدة. او كأن كلاً منهم مشغول بمطالب عقلية سامية فلا يلتفت الى ما سواها

وقد أُنشيء فيهِ كثير من المطاعم تطبخ كل يوم ما يقوت مئتي الف نفس . ويجلس فقراء الزوَّار على الكراسي المبثوثة في عرصاتهِ يغتجون مزاودهم ويأكلون مما معهم من خبز ولحم وفاكهة . ومع ذلك كلهِ لا ترى اثراً لفضلات الطعام وقشور الفاكهة ولا لنفاية الآلات الكثيرة الدائرة فيهِ حتى الذبان الذي يعمي عيوننا في القطر المصري لم نرَ شيئاً منهُ في هذا المعرض ولا في باريس كلها . ويقال ان لجنة المعرض حظرت على الناس البصق في ساحاتهِ ومسالكهِ فاستهجنوا ذلك منها لكنهم عملوا بهِ على ما يظهر . وكثيراً ما كنا نقف في مكان يشرف على جماهير كثيرة من الزوار نرقب حركاتهم ومكناتهم فنراهم يموجون كالبحر الزاخر واذا زحم احد غيرهُ التفت اليهِ واعتذر بكل ادب ووقار. ولم نرَ احداً لابساً ملابس وسخة او رثة ولا احداً تأنف من الوقوف معهُ او الجلوس اليهِ . وكأن الناس فقدوا قوة النطق فلا تسمع الاَّ صوت انفاسهم ووقع خطاهم واذا كلَّم احد غيرهُ كلمهُ همساً حتى لا يزعج غيرهُ بصوتهِ

والحرَّاس غاية في اللطف والدعة والتيقُّظ رأى احدهم مرةً اتطالُ الى قراءة ما كُتب تحت صورة في قصر مدينة باريس وهو احد ابنية المعرض كما سيجيء وانا لا استطيع قراءتهُ لبعد الصورة ودقة الخط فدنا مني واعطاني كتاباً فيهِ اسماء المعروضات في ذلك القصر ولما التفتُّ اليهِ لاشكرهُ رأيتهُ عاد الى مكانهِ بين الحراس كأنهُ لا ينتظر اجراً ولا شكوراً . ورأيتُ

حارس آخر اتعب في البحث عن معروضات مدغشقر فدنا مني وقال إن تسمح شرحتُها لك كلها فقلت حسنًا فقال أبالفرنسوية ام بالانكليزية قلت الانكليزية اسهل عليَّ فهمًا فاخذ يشرح لي معروضاتها ومناظرها واحدًا واحدًا وبقي نحو ساعة على هذا النمط

والخلاصة ان المعرض وما فيهِ آية في الجمال والاتقان والنظافة وكل ما يفيد ويسرُّ ويبهج. وعسى ان يكون هذا رأي كل اخواني الشرقيين الذين زاروهُ وان يبثوا ذلك بين قومهم لكي تقتدي بالاوربيين في اتقان اعمالنا ونجتنب كل ما يُعدُّ من الشوائب في مراتع العمران

(٣) اقسام المعروضات

ان اللجنة التي تولَّت انشاء هذا المعرض وتنظيمهُ قسمت الاشياء التي اريد عرضها فيهِ الى ١٨ بابًا وقسمت هذه الابواب الى ١٢١ فصلاً وعينت لهذه الابواب والفصول اماكن خاصة في اقسامهِ المختلفة وتركت جانبًا كبيرًا منهُ لبقية الدول تجاريها في تقسيم معروضاتهن على قدر الامكان فعرضت بريطانيا العظمى معروضاتها في ٢١ مكانًا من امكنة المعرض والولايات المتحدة الاميركية في عشرين مكانًا والنمسا والمانيا كلٌّ منهما في ١٩ مكانًا وبلجكا في ١٧ مكانًا وايطاليا في ١٥ مكانًا واسبانيا في ١٣ مكانًا واسوج في ١٢ مكانًا وتروج في ثمانية امكنة واليونان في مكان واحد

والباب الاول من الابواب المشار اليها يشمل كل ما يختص بالتعليم والتهذيب وفصولهُ ستة وهي التعليم الابتدائي والتعليم الثانوي والتعليم العالي وتعليم الفنون كالتصوير والنقش والموسيقى وتعليم الزراعة وتعليم الصناعة والتجارة

والمعروضات الفرنسوية التي من هذا الباب تشغل مكانًا واسعًا جدًّا من الجناح الايسر من معرض شان دو مارس ومن قصر مدينة باريس ومن معارض بعض المستعمرات الفرنسوية وفي جملة ذلك ما عرضتهُ نظارة المعارف الفرنسوية من الاوراق والدفاتر والرسوم ونحوها مما يستعمل في تعليم الاطفال وعرضت مثال مدرسة من مدارس الاطفال مستوفيًا كل ما يكون فيها من كرسي المعلم ومقاعد التلامذة التي يجلسون عليها والالواح الحجرية والخشبية والصور والخرائط المعلقة على جدرانها ومكتبتها وكتبها الى غير ذلك. ودفاتر التلامذة حاوية خطوطهم وانشاءهم وما يرسمونهُ وما يصورونهُ وعملٌ جزًّا . ثم ما يعملهُ تلامذة المدارس الابتدائية والعليا مثل المصنوعات الخشبية والحديدية في مدارس الصبيان واعمال الابرة والصنارة والوشي والتطريز وما اشبه في مدارس البنات . ويتلو ذلك معروضات مدارس المعلمين والمعلمات مثل رسوم تلك المدارس وصورها وصور فرق التلامذة فيها وتقارير مفتشيها عنها. وتتلوها معروضات

المدارس الليلية مثل صورها ورسومها ومكاتبها وما يشترك فيه تلامذتها كبنوك الاقتصاد الخاصة بها وجمعيات التعاون وجمعيات التلامذة الذين تخرّجوا فيها . وبجانب معروضات نظارة المعارف الفرنسوية معروضات المدارس المستقلّة عن الحكومة وهي كثيرة مثلها ومعروضات المدارس القديمة مثل الكتب التي كانت تُدرَّس فيها والاشغال التي كان التلامذة يشتغلونها فيها وطرق تعليمها وامثلة تُظهر شكل بنائها وكيفية ترتيبها والملابس التي كان التلامذة يلبسونها ونحو ذلك

هذا بعض ما عرضتهُ فرنسا في شان دو مارس مما يتعلّق بالتعليم الابتدائي اي بالفصل الاول من الفصول الستة المدرجة في الباب الاول " . وقد جرت هذا المجرى في سائر فصول هذا الباب وجارتها الدول الاوربية بنوع عام والولايات المتحدة الاميركية بنوع خاص، ولم تكتفِ الولايات المتحدة بوصف مدارسها وطرق التدريس فيها وعرض اشغال التلامذة ومصنوعاتهم بل اقترحت على علمائها انشاء تسعة عشر تقريرًا مسهبًا عن مدارسها المختلفة الانواع واحوال التعليم فيها كمدارس الاطفال والمدارس الابتدائية والمدارس العالية والمدارس الكلية والمدارس الجامعة ومدارس الزراعة ومدارس الصناعة ومدارس المتوهين ومدارس الصيف والجمعيات العلمية ومدارس السود ومدارس تعليم هنود اميركا. وطبعت من كل تقرير الوفًا والوف الوف من النسخ وهي توزَّع مجانًا على من يطلبها ليقف كل احد على احوال التعليم في اميركا. ولابدَّ من ان تكون قد انفقت نفقات طائلة على انشاء هذه التقارير وطبعها ونشرها لان بعضها اكبر من المقتطف . وقد لخّصتُ واحدًا منها في باب الزراعة في هذا الجزء

ولم أُطل الوقوف في القسم الفرنسوي الخاص بهذا الباب ولا في اقسام الدول الاوربية الكبرى لعلمي ان التعليم فيها كلها قد بلغ من الدرجات اسماها لكني اطلت الوقوف في قسم روسيا لانها دولة اسيوية كما هي اوربية ولأن الشائع بين ظهرانينا ان شعوبها لا يزالون في حالة الهمجية والجهل وان مدارسها مقيدة بقيود من حديد حتى يضطر تلامذتها ان يجاهروا بالعصيان من وقت الى آخر فلما نظرت الى معروضات مدارسها وما يتعلّق بها اتضح لي انها سائرة سيرًا حثيثًا في سبيل الارتقاء سيرًا يدهش الشرقي الذي اعتاد بطء الحركة وبطء السعي وبطء الارتقاء . أو يُصدَّق انهُ لم يكن في روسيا سنة ١٨٨٩ سوى خمس مدارس للتجارة مثلاً فصار فيها سنة ١٨٩٩ خمس وستون مدرسة اي زاد عددها ثلاثة عشر ضعفًا في عشر سنوات وكان عدد تلامذتها الفًا فصار اربعة عشر الفًا اي زاد اربعة عشر ضعفًا في عشر سنوات. فاذا

جرت بلاد الروس كلها على هذا النمط من الارتقاء مع ما هو معلوم من نمو شعوبها وازدياد فتوحها حقٌّ للانكليز ولدول اوربا واسيا ان توجس خيفةً من تقدمها وحقٌّ لعلماء الاجتماع ان يقولوا انهُ ان لم يكن مستقبل الارض للانكليز ولغتهم فهو للروس ولغتهم. وقس على مدارس التجارة مدارس الزراعة والصناعة والعلوم والفنون . والظاهر ان الروسيين قصدوا ان لا يبقوا مزية لجيرانهم الاَّ اقتبسوها منهم وزاحموهم عليها فترى السجاجيد العجمية بين مصنوعات بناتهم والشرائف والحرير والقطن مما يُجنى في مدارسهم الزراعية . واشغال البنات في التصوير والرسم والتطريز والخياطة والحبك بالغة غاية الاتقان وعلماء الجيولوجيا والمعلمون والحشرات لم تشط همتهم سعة البلاد فرادوها ودرسوا طبائعها وطبائع ما فيها وعرضوا مجموعات كثيرة منها

ثم انتقلتُ من معرض بلاد الروس الى معرض بلاد اليابان وقلت هذه دولة شرقية محضة وقد ولجت ربوع العمران الاوربي حديثًا بعد ما ولجهُ اهالي مصر والشام فلما وقع نظري على احصاء مدارسها واعمال تلامذتها اطرقت خجلاً وحياء فقد كان عدد المدرسين في مدارسها الابتدائية ١٥٧٤٩١ سنة ١٨٨٢ فصار ١٤٣٦٢٦ سنة ١٨٩٨ وكان عدد تلامذتها ٣٠٨٩١٠٠ فصار ٤٣٤٧٣٤١ واعمال التلامذة في الرسم والتصوير والنقش واعمال مدارس الصناعة ومدارس الزراعة ومدارس البنات ومجموعات الباحثين عن جغرافية البلاد وجيولوجيتها ومعادنها وحشراتها وحيواناتها وأسماكها والآلات العلمية التي صنعت فيها ولاسيما مقاييس الزلازل والآلات الكهربائية كل ذلك مما يقضي بالعجب العجاب ويوقف الاوربيين موقف الحيرة مخافة ان تنهض امم المشرق كلها نهضة اليابان فتزاحمهم في اسواق التجارة وتحرمهم من الربح الكثير الذي يربحونهُ الآن منها ومن غيرها . ولا يبعد ان يكون هذا من جملة الاسباب التي حرَّكت الامم الاوربية او بعض زعمائها لمعاجلة الصين قبلما تستتمُّ نهضتها وتتسنَّم غارب العمران

والباب الثاني في الفنون الجميلة وفصولهُ اربعة وهي (١) التصوير والتمثيل والرسم (٢) الحفر وطبع الحجر (٣) عمل التماثيل ونقش الياشين والنقش على الحجارة الكريمة (٤) صناعة البناء ومعروضات هذا الباب متفرقة في اماكن كثيرة من المعرض واكثرها مجموع في قصرين كبيرين شادتهما فرنسا من الحجر والمرمر وقد رأيت ان اسهب الكلام عليهما هنا فاقول

قصرا الفنون

كلما انشئ معرض عامٌّ في باريس بقي منهُ اثر راسخ يدلُّ عليهِ والاثر الباقي من المعرض السابق برج ايفل وهو كالشهرة واسع المدى قليل النفع فاراد الفرنسويون ان يبقوا لهذا المعرض اثرًا يليق بهِ من حيث المهارة في اتقان الصناعة ويكون منهُ نفع دائم فاقاموا جسر الاسكندر

وسيأتي وصفهُ في الكلام على ابنية المعرض وانشأوا هذين القصرين ووثّقوا اركانها واحكموا بنيانها وزينوها بمنتهى ما وصلت اليهِ صناعة البناء والنقش . احدهما اكبر من اخيهِ كثيرًا وبينهما شارع كبير وخمائل نضرة واتموا بناءهما في سنتين من الزمان وانفقوا عليهما مليونًا من الجنيهات . والصغير منهما جُمعت فيهِ بقايا الفنون الفرنسوية من اقدم عهدها الى سنة ١٨٠٠ وهو مثلّث الشكل واجيتهُ مزدانة بالاعمدة الكبيرة ذات التيجان الايونية وبابهُ الكبير شاهق فوقهُ قناطر متراكزة ونقوش بارزة وتماثيل قائمة على اوضاع شتّى وعلى جانبيهِ مجموعان من التماثيل البديعة وغلقا الباب من النحاس المشبك كأنهُ اغصان واوراق وازهار نظمت بعضها مع بعض على اشكال جميلة . والداخل من هذا الباب يرى اولاً بهوًا كبيرًا فوقهُ قبّة شاهقة والجدران التي حول هذا البهو اسفلها من المرمر الاصفر وفوقها صفائح من المرمر المعرّق الذي يغلب فيهِ اللون الاحمر . والى اليمين واليسار سلّمان عريضان يوصل منهما الى غرف ومقاصير كبيرة تدور حول القصر ورواقين امامها ووراءها وفي هذه الغرف والمقاصير ورواقيها بدائع الصور والتماثيل والخزائن والموائد والكراسي والمقاعد والبسط والستائر والساعات والصحاف والاسلحة وكتب الخط والموشيات والمطرّزات وآنية الكنائس كالصلبان والكؤوس والمذابح والاشعّة وذلك كلهُ من اقدم عهد الحضارة في فرنسا من عهد الرومان الى سنة ١٨٠٠ . ومما يستوقف النظر بنوع خاص الاسلحة القديمة وصور ملوك فرنسا وملكاتها وربات الجمال فيها والحلى القديمة والساعات والمراوح والآنية الذهبية والفضية ومنسوجات الغوبلين وانواع الخزف المشهور مثل خزف بالسي وخزف سفر وخزف مرسيليا . والمصنوعات التي صُنعت بين سنة ١٦٠٠ و ١٨٠٠ من اجمل ما رأتهُ عيني حتى لا اكاد اصدّق ان صنّاع القرن التاسع عشر فاقوا صنّاع القرن الثامن عشر والسابع عشر في شيء من ذلك

وسيُعطى هذا القصر لمدينة باريس بعد انتهاء المعرض فتبقيهِ دارًا للتحف بدل العشرين مليونًا من الفرنكات التي ساعدت بها لجنة المعرض . ومن العجب ان مدينة فيها متحف اللوفر ومتحف لكسمبرج والتروكادرو ومتاحف اخرى غيرها لا تكتفي بها بل تطلب المزيد دواماً لكي يرتقي الذوق الصناعي في اهلها ويرغب الغرباء في المجيء اليها وإنفاق الاموال فيها . فكأنها تتاجر بمعارفها لتربح تقدّم اهلها وازدياد ثروتهم وهذا هو الاتجار النافع والسعي الحميد

والقصر الكبير الى الغرب من القصر الصغير وهو معرض لما صنعهُ ارباب الفنون في العشر السنوات الاخيرة مساحتهُ ٤٠٠٠٠ متر مربع اي نحو عشرة افدنة وهو جامع بين فخامة البناء ودقّة الصناعة وكثرة الزخرفة . ولم ينهج مهندسوهُ منهجًا واحدًا في بنائهِ بل جمعوا فيهِ بين

الاساليب اليونانية والرنسنس (التجديدية) التي من عهد لويس الثالث عشر ولويس الرابع عشر ولم يكتفِ الصنّاع بتضليع الاعمدة المحيطة به وزخرفة تيجانها بل ادخلوا بين اضلاعها اوراق السندبان وغيره لزيادة الزخرفة والتفنّن في النقش

ومدخل هذا القصر من الجهة الغربية قائم بين اعمدة مزدوجة داخلها كوّى كبيرة فوقها صور بارزة من الخزف المدهون الملوّن تمثل تاريخ الفرنسويين وطرقهم المعاشية من اقدم عهدهم الى الآن وهي محيطة بالقصر كلهِ تحت افريز سطحهِ . وعند الزاوية اليمنى امام الداخل تمثال الصناعة وهو رجل في يدهِ اكليل وفوقهُ ملائكة تتوّجهُ والى اليسار تمثال العلم وهو امرأة على جوادٍ في يدها مصباح المعرفة (والصناعة مذكر في اللغة الفرنسوية والعلم مؤنث ولذلك تُمثَّل الصناعة بصورة رجل والعلم بصورة امرأة) وفوق الباب امرأة عارية خارجة من صدفة وتماثيل كثيرة من البرنز . وغلقا الباب كانهما ثابٌ من الاغصان والازهار وداخلهُ بهو كبير على هذا النمط من النقش والزخرفة وعلى عضائدهِ صفائح من حجر السليماني عليها رسوم من النحاس

ولما كان هذا القصر معرضاً لما صُنع في العشر السنوات الاخيرة من الصور والتماثيل والرسوم والنقوش وكل ما تفنّن الصنّاع في عملهِ ونقشهِ كالبسط والستائر والكراسي والموائد والمقاعد والخزائن والكؤوس وآنية الزجاج والخزف والخشب ترى غرفهُ ومقاصيرهُ واروقتهُ وداره الكبيرة مشحونة بهذه المعروضات وترى الناس يموجون فيهِ افواجاً افواجاً ذهاباً وايابًا رجالاً ونساء من كل اقطار المسكونة كما ان ما هو معروض فيهِ منتقى من كل البلدان والممالك من فرنسا والمانيا وبريطانيا واسبانيا وايطاليا وروسيا واميركا وسائر الممالك الاوربية

وتبلغ المعروضات الفرنسوية فيهِ	٢٦١٣
والاميركية	٠٤٢١
والروسية	٠٤٢٠
والبريطانية	٠٣٤١
والالمانية	٠٢٤٠
والسويسرية	٠٢٣٥
والنمسوية	٠٢٢١
والايطالية	٠٢١٦
والدنمركية	٠١٨٦
والاسبانية	٠١٦٣

والبرتغالية	٠١٦١
والبلجيكية	٠١٥٤

وقس على ذلك معروضات سائر الممالك حتى تركيا عرضت ١٠٣ صورة لمصوّرة وستة مصورين . والمصورة اجنبية كما يظهر من اسمها والمصورون الستة تدل اسماؤهم على ان ثلاثة منهم ارمن وواحدٌ ايطالي وواحدٌ اسرائيلي والسادس اسمهُ ادغار شاهين . اما البلدان التي انفصلت عنا فقد عرضت اكثر منا كثيرًا فالعرب عرضت ٤٦ صورة و ٩ تماثيل واليونان عرضت ٥ صور و ٢٦ تمثالاً والبلغار عرضت ٢٥ صورة و ١٨ تمثالاً

وقد تفنّن النقاشون في نحت بعض التماثيل فنحتوا بدن التمثال من رخام ابيض وشعرهُ من رخام اشقر وثيابهُ من رخام ملوّن مثال ذلك تمثال الطبيعة وهي كاشفة ستارها وسافرة عن وجهها بدنها من الرخام الابيض وثوبها من الرخام المعرّق بالاحمر والاصفر وشعرها من الرخام الاشقر الذهبي ورداؤها من المرمر الضارب الى الصفرة

ووصف ما في هذا القصر من الصور والتماثيل يملأ مجلدًا كبيرًا ولا يستطيعهُ الاَّ المصور الماهر والنحات البارع اذا امتلكا ناصية الانشاء وأُعطيا موهبة الاجادة في الوصف ولذلك لم احاول الجري في هذا المضمار

ولا يسع الشرقي الاَّ ان يندهش من تطرُّف الاوربيين في تصوير النساء وتمثيلهن عاريات على اوضاع مختلفة لا لان جسم الانسان قبيح يجب ستره كما يزعم الجمهور بل لان بعض تلك الصور والتماثيل لا يقتضي ان يكون عاريًا . فاي امرأة تلاعب طفلها وهي عارية او تقيم في الفلاة ولا ثوب يسترها او يقيها من الحر والبرد واي غانية تقابل حبيبها عارية . فلو اكتفى الصناع بتعرية ابدان المستحمات والمغتسلات والسابحات والتماثيل المراد بها تمثيل معنى من المعاني كالفضيلة والحقيقة والمحبة لالتمسنا لهم عذرًا ما مبالغتهم في تعرية صور النساء والرجال ايضًا فيما تصلح التعرية لهُ وما لا تصلح فعلوهُ لا مسوّغ لهُ . وقد ألفت عيون اكثر الاوربيين ذلك فترى نساءهم يقفن امام صور الرجال العراة والنساء العاريات غير مبالياتٍ الاَّ الانكليزيات والاميركيات فاني رأيت بعضهنَّ يغضضن الطرف اذا رأين صورة عارية ويتجاوزنها مسرعات

ودار هذا القصر فسيحة جدًّا على شكل صليب وهي مسقوفة بالزجاج وبعض الواحه كبير طولهُ ثلاثة امتار ونصف متر وعرضهُ متر وسمكهُ سنتيمتر وهو منحنٍ حسب شكل السقف المحدب ومنظر هذا السقف من الخارج غير جميل يكاد يشوّه منظر القصر كلهِ ولكن الضرورة دعت اليهِ والضرورة احكام . وستكون هذه الدار معرضًا للتماثيل والخيل والحاصلات الزراعية

اما الآن فهي مملوءة بالتماثيل تراها فيها كغاب من الاشجار يحار المرء امام ايها يقف وفي ايها يمعن نظرهُ ولاسيما اذا كان وقتهُ محدودًا مثلنا . وهي مختلفة الاقدار والاشكال والاوضاع من الرخام الابيض الناصع البياض الذي يكاد يشفُّ عما وراءهُ الى الرمادي فالضارب الى الصفرة فالضارب الى الزرقة فالاسود ومن البرنز والجبس وهلمَّ جرًّا . وكثيرًا ما ترى تمثالاً من اجمل انواع المرمر او البرنز ولم يتل الاَّ نشان النحاس والى جانبهِ تمثال من الجبس وقد نال الجائزة العظمى او نشان الذهب لان العبرة في اتقان الصنعة لا في نوع المادة

ولقد كنا نودُّ ان نرى مصوَّرتنا البارعين من مصر والشام يتبارون مع غيرهم من المصورين ويعرضون بعض صورهم في هذا القصر ولكن أنَّى يكون لهم ذلك وهم يعجزون في الغالب عن دفع نفقات السفر واموال الحكومة التي هي اموال الامة يُبخل عليهم بها

وما كنت اشعر بهِ من الكآبة حينما ارى بقية مباني المعرض وافكر في انها زائلة كلها مع ما فيها من الجمال وحسن الصنعة ومع ما أُنفق عليها من النفقات الطائلة لم اشعر بشيء منهُ لما رأيت هذين القصرين لانهما مبنيان من الحجر والمرمر والمعدن فلا تزيدهما الايام الاَّ جمالاً ومهابةً ولا يضيع درهم انفق على تشييدهما

وقد رأت فرنسا ان تعرض بعض ما صنعهُ مصوروها ونحَّاتوها بين سنة ١٨٠٠ وسنة ١٨٩٠ فعرضتهُ في جانب من القصر الكبير فملأ القسم الغربيَّ منهُ من ذلك تمثال بونابرت والخيل على حلتهِ وهي مبطَّنة بالفرو لكن مادتها ومادة فروها من الرخام الابيض . وتمثال ايوب الصديق وكثير من الصور الصغيرة والكراسي والمقاعد والاسرَّة وسرير ابن بونابرت وخزانة جواهر جوزفين ومصنوعات كثيرة من الزجاج الملوَّن والخشب المرصَّع والظرف المنقوش . وترى على بعض الصور شيئًا كالضباب كأنها تُرَى من وراء زجاج يغشيها او كأنها ترى في الليل

ولم تكتفِ فرنسا ولا الدول العارضات معها بما عرضتهُ في هذا القصر بل عرضن معروضات كثيرة من هذا القبيل في شان دو مارس والانفاليد وقصور الدول بعضها قديم جدًّا و بعضها حديث حتى لم يخلُ قصر من قصور الدول من الصور والتماثيل وما اشبه من المصنوعات الفنيَّة واكثرها ثمين جدًّا مما يفاخر بهِ الملوك كاسلحة بعض سلاطين العرب وكالصور التي عرضها امبراطور المانيا وكالتحف الكثيرة التي عُرضت في قصر مدينة باريس وقصر اسبانيا والمجر وبلجيكا واليونان

وقد فتشتُ بنوع خاص عما عرضتهُ الدول الشرقية كالصين واليابان وبعض الممالك الاوربية الصغيرة وبعض البلدان الاميركية القاصية فرأيتها كلها تفوقنا في تفنُّن صنَّاعها ولا

تجحم عن عرض صورها وتماثيلها ازاء المصنوعات الفرنسوية . وقد فاق الهنود والصينيون واليابانيون امم الارض في نقش العاج والخشب كما يظهر مما عرضوه في معارضهم المختلفة وبلغ اليابانيون حداً يندر ان يفوقهم فيه احد في عمل التماثيل وسبكها حتى كأن صناعهم قد اتقنوا علم التشريح تمام الاتقان قبلما حاولوا تمثيل جسد الانسان . وجاروا الاوربيين في تصوير الناس عراة ان لم يكونوا قد سبقوهم الى ذلك لان بعض صورهم قديم من القرن السابع عشر

ومن ينظر الى الصور المختلفة المعروضة في القصر الكبير من قصري الفنون وفي اماكن مختلفة من المعرض يجد بينها صوراً كثيرة شاذة عما اعتاد رؤيته واوجه شذوذها في الخطوط الغليظة التي تفصل بين الصورة وما حولها وفي قلة الظلال اللازمة لتجسيم الصورة وفي اطلاق العنان للقلم ليتصرف في ما يمكنه التصرف فيه كغدائر الشعر وذيول الاثواب حتى كأن المصور شاعر يرسم صور الخيال على القرطاس لا صور ما يراه بعينه. وهذا النوع من التصوير قديم جداً جرى عليه المصريون القدماء كما يظهر من الصور التي اكتشفها الدكتور يتري بين الآثار المصرية القديمة . وبقي المصورون يلجأون اليه كلما ارادوا الاستعاضة عن الحقيقة بالمجاز إما تخلصاً من قيود التدقيق او مجاراة لصور الخيال الى ان قام المصور موخا النمسوي حديثاً فاحياه وعزز شأنه بالصور الكثيرة التي ابتدعها فشاع اسلوبه حالاً وجاراه كثيرون من المصورين . ومن صوره البديعة التي يغالى بها وقد كثر عرضها في المعرض صورة الريشة وصورة الزهرة وصورة الرقص وصورة الغناء وصورة الشعر وصورة التصوير وصورة الزئبق وصورة الورد

وصورة الريشة فتاة مسكت ريشة زرقاء يسارها ووقفت حتى تُرى من جانبها وعقصت شعرها في اعلى رأسها وهو غدائر ملتفة بعضها على بعض كالافاعي والاهلة تجمعها عصابة من الذهب مرصعة بالحجارة الكريمة وصيحان مرصعان تغطيان اذنيها كما في بعض الصور المصرية القديمة وهي لابسة قميصاً يغطي بدنها وتنكيبها . وعلى وسطها منطقة تتدلى منها حمائل كثيرة وحول رأسها دائرة كبيرة كأنها اعلى كرة عربية

وصورة الزهرة فتاة عقصت شعرها فوق قذالها وانسدلت بعض غدائره على جبينها ووجهها وعنقها حتى غطت اذنيها ملتفة تحتهما وامسكت بيمينها عرقاً فيه ازهار جميلة تشم رائحتها وحول رأسها دائرة من الازهار والرياحين

وصورة الرقص غانية التحفت بازار طويل الاذيال يشف عن بدنها امسكت به وهي تدور راقصة فطار حولها كذنب الطاووس وعبث النسيم بشعرها فتموّج وابعد عنها ثم التفت ودار اليها . وحولها هلال بديع النقش يكاد يلتف عليها . وقس على ذلك باقي الصور

والوانها كلها من ازهى ما صنعهُ المصورون او استنبطهُ الكيماويون ولا ارى وصفاً لها اقرب من القول بان نسبتها الى الصور العادية نسبة الشعر الى النثر فكما تسرُّ النفس باكتشاف معاني الشعر المحبوكة تحت الفاظهِ واستعاراتهِ سرور من ظفر بشيء بعد البحث عنهُ تسرُّ ايضاً برؤية هذه الصور واكتشافها اشكال الاعضاء ومعاني الوجه من بين قليل من الخطوط . وكما يتصرف الشاعر في معاني الالفاظ ويحوّلها عمَّا وضعت لهُ يتصرَّف مصور هذه الصور في الخطوط والاشكال على حسب ما يرشدهُ الخيال . ومع ذلك لا يفسَّر تهافت الاوربيين على استحسان هذا التصوير وتفضيلهم اياهُ على التصوير الطبيعي الذي تماثل صورهُ الحقيقة تماماً الاَّ على مبدإ اندفاعهم وراء كل جديد وحبهم للتغيير والتبديل على ما ترى في تغييرهم لازياء النساء

وتفنَّن الفرنسيون هم وغيرهم في ما عرضوهُ من الطبع على الحجر موضحين بهِ تاريخ هذه الصناعة من اول عهدها الى الآن ودرجات ارتقائها وما يُصنع بها من الصور الملوَّنة التي تحاكي الصور الزيتية في امتزاج الوانها

اما صناعة البناء فالمعرض كلهُ باقسامهِ المختلفة خير معرض لها فانك ترى فيهِ اشكال البناء المختلفة من عهد المصريين القدماء فاليونان فالرومان فالفرس فالعرب فالقوط فعصر التجديد فالعصر الحاضر . واشكالهُ المختلفة في ممالك اوربا واسيا وافريقية واميركا فيستغني بهِ زائرهُ عن تطواف المسكونة كلها اذا اراد مشاهدة مبانيها واساليب بنائها الشائعة فيها من هياكل المصريين والصينيين واليابانيين والهنود الى كنائس المسيحيين ومساجد المسلمين الى قصور الاوربيين والاميركيين . ومن اكواخ الاسكيمو واللابلندين والتركمان في اقاصي الشمال الى اكواخ الافريقيين وخصاص الاستراليين في اقاصي الجنوب . وقد مثلوا فيهِ مدناً وقرًى كاملة فترى فيهِ مدينة باريس القديمة بقصورها وحصونها وابراجها وكنائسها وشوارعها والناس فيها يجولون ويبيعون ويشترون وهم بازيائهم القديمة التي كانوا يلبسونها منذ مئات من السنين . وترى فيهِ قرية من قرى بلاد سويسرا بجبالها وصخورها وبيوتها وشوارعها وابراجها ومذاودها وخظائرها وبقرها ودوابها ورعاتها وملابس اهلها . وساكن اهالي الترنسفال بقرائهم واغنيائهم وساكن اهالي مدغسكر وبلدان اخرى كثيرة في اسيا وافريقية . وما لم يعرضوهُ بنفسهِ عرضوا صورهُ اما رسوماً صغيرة لهُ او صوراً كبيرة يقع النور عليها في مكان يحجب ما حولها فترى كأنها اماكن حقيقية وهو ما يسمى بالبانوراما وقد شاهدتهُ في المكان المعروف بالطوفان حول الارض وفي بناء مدغسكر وفي رحلة مرشان وسآتي على وصفهِ في فصل آخر

ومما يستوقف النظر في فصل البناء رسوم المباني الاميركية الحديثة التي اعلوها حتى بلغوا

اعالي السحاب . وترى امثلتها من قضبان الحديد قائمة كالاقفاص وبجانبها قطع الاجر التي يملأ ما بين القضبان بها كأن القضبان هيكل العظام في جسم الحيوان والاجر لحمهُ واعصابهُ . وقد بلغوا في بعض هذه المباني عشرين طبقة او اكثر حتى بلغ ارتفاعها اكثر من مئة متر اقتصاداً في الارض حيث الارض ثمينة . ويصعد اليها كلها بالروافع فلا يشكو سكانها من مشقة الصعود على السلالم . وهناك قطع من الحديد الذي تبنى منهُ تلك المباني وهي كرواقد الخشب التي تسقف بها البيوت عندنا او اغلظ منها لكنها من الصلب (الفولاذ) المتين فلا تتكسر ولا يختل وضعها معها علا البناء وزاد ثقلهُ وضغطهُ

وللبناء العربي حظٌّ وافر من هذا المعرض وشأن عظيم فيهِ فتراهُ ممثلاً في قصر مصر وقصر تركيا وقصر ايران وقصر تونس وقصر الجزائر وقصر تركستان واجملهُ في قسم اسبانيا داخل معرض شان دومارس فترى هناك الاروقة والمقاصير والابواب والكوى والشرفات والحنايا والاعمدة وهي مختلفة الاشكال بديعة النقش زاهية الالوان كأن صورها منقولة عن الحمراء والزهراء وكل قصور الاندلس الفاخرة

ذهب الملك من العرب وزال جاههُ من بلادهم ولم يبقَ من تلك الامة العظيمة مَن يعنى بحفظ معالمها لكن الاوربيين لم ينسوا فضلها عليهم فتراهم يذكرون جميلها ويحيون آثارها ومآثرها ولولاهم لضاع اكثر ما بقي الى الآن من كتب العرب ومصنوعاتهم وجهلنا قدرهم وكل ما يعرف عن عمرانهم

ويدخل في هذا الباب نقش المعادن وعمل النياشين والوسامات ونقش الحجارة الكريمة وقد عرضت نياشين الدول والجمعيات العلمية والادبية والصناعية ونحوها في اماكن مختلفة من المعرض وقصور الدول التي فيهِ فيقف الرجال المتباهون بالنياشين امامها كما يقف النساء امام الحلى والمجوهرات الاَّ ان الرجال يقفون لحظة ثم ينصرفون كأنهم يخشون ان يراهم احد معارفهم فيلومهم على اضاعة الوقت في النظر الى زخارف يترفع عقل الرجل عنها . واما النساء فيقفنَ هنَّ ورجالهنَّ امام الحلى يقدرنَ اثمانها ويعجبنَ من بديع اشكالها ولا يلومهنَّ احد كأنَّ الحلي خُلقت لهنَّ وخلقنَ لها . ولا مشاحة في ان صناعها بلغوا حد الاعجاز في رسم اشكالها ولم يتركوا جوهراً في جوف البحر وقلب الارض ولا حجراً كريماً الاَّ جلبوهُ وقطعوهُ وصقلوهُ وصاغوهُ . وكأن كلَّ جوهري منهم ظنَّ نفسهُ وحيداً في المعرض فعرض فيهِ شيئاً كثيراً من الدر الحلي واثمنها حتى ان من عقود اللؤلؤ ما يساوي مئة الف جنيه

وفي المعرض آلات فرنسوية واميركية لضرب النقود والنياشين والوسامات تمرُّ فيها قدد

المعدن فتقطع منها قطعاً مستديرة وتسكها في طرفة عين وكأن لسان حالها يقول ان كل شيء صار يعمل بالآلات حتى وسامات الشرف والمجد . اما الجواهر فلا تجلب الاَّ بالغوص في لجج البحر والتعمق في طبقات الارض. وقد عرضت فرنسا والولايات المتحدة الاميركية مجموعات كاملة من الحجارة الكريمة والمجموع الاميركي من عمل تفني الجوهري الاميركي المشهور وفيه الحجارة الكريمة في حالتها الطبيعية وفي اشكالها بعد قطعها وصقلها فالصفير مثلاً ازرق او اخضر او اصفر والطبيعي منهُ بلورات متفرقة في حجر اصفر . والياقوت احمر والطبيعي منهُ احمر ايضاً ولكنهُ كحصى العقيق وقد يكون في حجارة رمادية محمرة او مصفرَّة . والماس الطبيعي مدملك الحروف والزوايا كحصى البلور الابيض . وقس على ذلك سائر الحجارة الكريمة وسأعود الى الكلام عليها وعلى الحلى في فصل آخر

الباب الثالث في ما يستعمل في العلوم والفنون من الصناعات والادوات وفصولهُ ثمانية وهي (١) الطباعة على اختلاف طرقها واساليبها . و(٢) التصوير الشمسي. و(٣) طبع الكتب وتجليدها والصحافة والاعلانات وكتب الموسيقى. و(٤) عمل الخرائط والكرات والآلات التي تستعمل في الجغرافيا والكوسموغرافيا والطوبوغرافيا . و(٥) الآلاتْ الرياضية والعلمية والنقود والمداليات . و(٦) الطب والجراحة. و(٧) الآلات الموسيقية . و(٨) الآلات والرسوم التي تستعمل في المراصد

"وكل فصل من هذه الفصول معرض عظيم في بابهِ ففصل الطباعة مؤلف من معروضات ٤٠٠ عارض منهم اصحاب المطابع الكبرى ومعروضاتهم تشغل اكثر من ٣٠ قاعة واسعة ومنهم اصحاب المحلات الشهيرة التي تصنع آلات الطباعة في فرنسا وغيرها ومن جملة معروضاتهم آلات تطبع سبعين الف نسخة في الساعة الواحدة وآلات تصف الحروف وآلات تطبع باحبار مختلفة الالوان الى حد سبعة في وقت واحد وآلات تطبع ورق الجرائد وتقصهُ وتلصق بعضهُ داخل بعض وتطويهِ من نفسها وهناك مساكب كثيرة لمحلات سكب الحروف المشهورة ومعروضات مطبعة الحكومة الفرنسوية بانواع حروفها العديدة من قديمة وحديثة غربية وشرقية "

ولا ادري اي فصول هذا الباب اخلق بالوصف من غيرهِ ولا كيف اوفي هذا الفصل حقهُ من الوصف فان المطابع الكبيرة بلغت حد الاعجاز حتى صارت نسبة مطابعنا الشرقية اليها نسبة العربة التي يجرها الثور الى قواطر سكك الحديد او نسبة اكواخ السودانيين الى قصور الملوك . توضع لفَّة من الورق كالبرميل الكبير في المطبعة من هذه المطابع وتدار آلاتها بالكهربائية فينفكُّ الورق من نفسهِ ويجري بين اسطوانين الآلة صاعداً نازلاً جارياً ملفًّا وتنهال الصحف

منها كالماء الجاري مطبوعة مطوية ثلاثين الفاً او اربعين الفاً او خمسين الفاً او ستين الفاً او سبعين الفاً في الساعة الواحدة ولا يشعر المرء بحركة المطبعة الاَّ من صوتها لان دوران اساطينها اسرع من ان تتبينهُ العين

ومن اغرب هذه المطابع مطبعة البتي جرنال وهي صغيرة جدًّا طولها اقل من متر بين وعرضها اقل من متر ونصف وعلوها نحو متر ونصف لكنها تطبع نحو خمسة عشر الف نسخة من تلك الجريدة في الساعة الواحدة وبجانبها مطبعة اخرى وهي آخر منها قليلاً لكنها تطبع ٣٦ الف نسخة في الساعة من جريدة فيها ست صفحات ولقص الورق وتلصق الورقة المفردة بالورقة المزدوجة وتطوي الاثنتين معاً ولا وقت لما تخرج النسخ نسخة فتخرجها عشرات عشرات باسرع من لمح البصر

وتجمع حروف هذه الصحف الآن بآلة لها مفاتيح كآلة الخط يضرب عليها جامع الحروف باصابعهِ فتجمع فيها الامهات بعضها بجانب بعض الى ان يصير منها سطر فيصب الرصاص عليهِ من الآلة نفسها ويرفع ويوضع مع السطور التي سبكت قبلهُ وتفرق الامهات في اماكنها ثم يجمع سطر آخر وهلمَّ جرًّا وهذه الاعمال كلها تعملها الآلة من نفسها وبقي تمَّ جمع الصفحة الواحدة قبلُ وتوضع عليها صفيحة من القرطاس وتضرب حتى تطبع الحروف فيها طبعًا غائرًا ثم توضع في قالب كنصف الاسطوانة ويصب عليها الرصاص المصهور فيكون من ذلك نصف اسطوانة مجوَّفة والحروف على ظاهرهِ ثم يسبك نصف اسطوانة أُخرى من الصفحة الثانية ويجمع بين الاثنين بعد ان تهذَّب حواشيهما فيكون من ذلك اسطوانة كاملة عليها صفحتان من صفحات الجريدة. وقد اتموا هذا كلهُ امامي في مطبعة البتي جرنال في اقل من ربع ساعة. ولا يمكن طبع نسخ كثيرة من ستة آلاف فصاعدًا في الساعة الاَّ اذا كانت الحروف مسبوكة على اساطين كما تقدَّم اما المطابع التي تطبع عن الحروف رأساً وهي مجموعة على سطح مستوٍ فاكثرها اتقانًا لا يطبع اكثر من خمسة آلاف نسخة في الساعة

ومن المطابع المعروضة هناك مطبعة اورلوف التي تطبع سبعة الوان دفعةً واحدةً ومطابع مرينوني والبزه ومطبعة تيمس نيويورك وهي تطبعهُ وتوزعهُ مجانًا وكذلك مطبعة البتي جرنال تطبعهُ وتوزعهُ مجانًا

وعرضت اميركا والمانيا وانكلترا مطابع مختلفة وشاركن فرنسا هنَّ وغيرهن في عرض الكتب القديمة والحديثة المصورة وغير المصورة لاظهار اشكال طبعها وتجليدها . والكتب المصورة المطبوعة منذ القرن الخامس عشر تفوق صورها صور الكتب التي تطبع الآن في مصر

والشام اي اننا متأخرون عن اوربا من هذا القبيل نحو اربع مئة سنة . ومن الكتب القديمة المعروضة نسخة من جغرافية لبطليموس طبعت في نورنبرج سنة ١٥٢٤ وكتاب جغرافي طبع في تورين سنة ١٦٤٩

اما الكتب الحديثة فلا تسأل عن انواعها واشكالها وطرق تجليدها واتقان تصويرها الان ذلك يفوق كل حصر ويقصر عنهُ كل وصف . وقد بلغ التصوير في جرائد الازياء جداً يفوق التصوُّر ولا يفوقهُ في دقة النقش الا نقش اوراق البنوك وطوابع البريد واسهم الشركات. وهنالك معروضات كثيرة من هذا القبيل ومنها مجموعة انكليزية كبيرة رأيتُ فيها اوراق البنك الاهلي المصري واسهمهُ واسهم شركة الدلتا ومينا البصل والاسواق واوراق البنوك من كل اقطار المسكونة من اوربا واميركا واسيا وافريقية واستراليا ..ومجموعة اميركية لاوراق البنوك نالت الجائزة الكبرى لاتساعها واتقانها. ومن الممالك الصغيرة التي ابدعت في ماعرضتهُ في هذا الباب هولندا وبلجكا فترى في معرض هولندا مجموعة كبيرة من الكتب والخرائط والآلات الموسيقية وخريطة كبيرة لجزيرة جاوى مقاسها $\frac{1}{10000}$ ومطبوعات مصورة بصور ليثوغرافية كانها فوتوغرافية لدقتها . وفي معرض بلجكا مطبوعات كثيرة قديمة وحديثة وكرات ارضية وخرائط وصور فوتوغرافية كبيرة بالقطع الطبيعي على الصورة منها مترات

اما الصور الشمسية التي عرضتها فرنسا وكل دولة من دول الارض وآلات التصوير الشمسي وما يتعلق بهِ فالقول بانها كثيرة متنوعة تحصيل حاصل لانها تعد بالالوف والوف الوف وغاية ما يقال فيها ان الفوتوغرافيين صاروا يستطيعون الآن ان يصوروا الانسان بحجمهِ الطبيعي ويتصرفوا في لون صورتهِ على ضروب شتى لا حصر لها . ولكنني لم أرَ لهم صورة فوتوغرافية تختلف الالوان من اصلها وبلغني بعد مغادرتي باريس انهُ عُرضت فيهِ صور فوتوغرافية ملونة من اصلها بالوان الجسم الطبيعي اما انا فلم أرها . ولا تقتصر المهارة في الفوتوغرافيا على مصوري فرنسا وما جاورها من الممالك والولايات المتحدة الاميركية بل جاراهم فيها مصورو بعض البلدان الصغيرة النائية كبلاد بيرو فان صورها الفوتوغرافية بالغة حد الدقة والجمال وقد نال مصوروها نياشين الذهب

وامثلة الجرائد السياسية والعلمية والادبية القديمة والحديثة كثيرة فني قصر الفنا وحدهُ الف وستا جريدة مختلفة فكم تكون معروضات فرنسا وانكلترا واميركا وكذلك الخرائط والكرات الارضية والسموية . ومن الكرات الارضية التي عرضتها فرنسا كرة قطرها نحو مترين تظهر فيها جبال الارض كالتضاريس على سطحها فيظهر ارتفاع اعلى جبال حملايا نحو ثلاثة ملليمترات

وارتفاع اعلى جبال الالب نحو ٤ كيلومتر ونصف وتس على ذلك الخرائط البارزة وهي كثيرة في فرنسا واقسام سائر الدول . والخرائط الجيولوجية والمعدنية كثيرة في اقسام كل مملكة من الممالك حتى في قسم يابان

وآلات الرياضية والعملية تُعدُّ بالالوف الكثيرة من البياكير والمساطر والزوايا والاقواس والارباع وكل آلات الرسم والمساحة والتسهيل وقياس الابعاد كالاسطرلاب والسدس والثيودوليت وآلات قياس الجاذبية والميازين الكيماوية ومفرّغات الهواء وكل الآلات الميكانيكية والهوائية والمائية والصوتية والكهربائية والمغنطيسية والبصرية والنظارات على اختلاف انواعها واشكالها واقدارها ومنها نظارة فلكية قطر بلورتها ٤٠ سنتيمترًا وبعد محترقها خمسة اقدام ونظارة اخرى كبيرة لتصوير النجوم بالفوتوغرافيا (استرو فوتوغرافيا) . وبين معروضات المانيا بلورة قطرها متر و٢٥ سنتيمترًا وبين معروضات فرنسا بلورة محدبة مقعرة واخرى محدبة الوجهين قطر كلٍّ منهما متر ووزن الاولى ٥٢٠ كيلوغرامًا ووزن الثانية ٣٨١ كيلو غرامًا . وهنالك الآلات الحاسبة وآلات اشعة رنتجن وآلات الفونوغراف والميكروسكوب والبكولارسكوب والبكتروسكوب والكريمتر والبولاريمتر والخرونومتر وآلات اخرى كثيرة من هذا القبيل . ولا اظن انهُ توجد آلة رياضية او عملية لا يوجد منها في هذا المعرض حتى الآلات الحديثة التي لم تتقن الى الآن كالتليفون الذي يكتب الالفاظ ويبقيها على اسطوانة او قدَّة معدنية في غيبة صاحبهِ حتى اذا عاد قرأها ثم ازالها عن الاسطوانة او القدة بازالة الاثر المغنيسطي عنها فانهُ قد عُرض في باب الكهربائية من هذا المعرض وتكلمتُ فيهِ كلامًا عربيًّا ثم اعادهُ على مسمعي كما نطقتُ بهِ تقريبًا . ومن ذلك محللة اتفاق الانغام التي اكتشفها اساتذة مدرسة شيكاغو سنة ١٨٩٧ . ولو وسعني الوقت لاريتُ انواع هذه الآلات العملية كلها واشرحها الشرح الوافي للأثُ بشرحها مجلدًا كبيرًا مثل المقتطف

ومن فصول هذا الباب مجموعات النقود والمداليات واول ما يدخل الزائر الجناح الايمن من الشان دومارس يرى جمهورًا غفيرًا من الناس رجالاً ونساء مجتمعين حول آلة كبيرة تسك النقود وآلة أُخرى تسك المداليات فيقع من كل واحدة قطعة مسكوكة في اقل من ثانية من الزمان . واذا كان سك النقود سهلاً بهذا المقدار فلا ادري لماذا لا تسكُ النقود المصرية في مصر بل تسك في بلاد النمسا وقد اشرت الى مجموعات النقود والمداليات في الكلام على الباب السابق

وكما تبارت الدول الكبرى في ما تقدَّم ذكرهُ من المعروضات تبارت في عرض الآلات الجراحية والوسائل الطبية وكل ما يتعلق بفن الطب والجراحة من اقدم الآلات التي استعملها

الاطباء والجراحون الى احدثها فترى هناك بعض الآلات المصرية القديمة المستخرجة من مدافن مصر وخرائب مبانيها وبعض الآلات الرومانية المستخرجة من خرائب هركولانيوم التي طمرها بركان يزوف في القرن الاول المسيحي وما لا يحصى من الآلات الجراحية الحديثة التي تستعمل في البتر والشق والسبر واستخراج الحصى والاورام وجبر العظام واصلاح العاهات كاصلاح الاقدام الفدعاء وتقويم الاظهر المنحنية وآلات التعقيم والغسل والتصوير بالشمعة لتجبن وقلع الاسنان وحشوها واصلاحها وعمل الاسنان والطقم الصناعية وكل ما يتعلق بامراض العين وآفاتها وعملياتها . ولا اظن ان طبيباً دخل هذا المعرض الا وقف ساعات كثيرة امام المعروضات الطبية والجراحية يتفحصها ويعجب بمهارة الفرنسويين والاميركيين والالمانيين والانكليز وغيرهم من الامم في اتقان الوسائل التي تزيل الآفات والآلام . ومن هذه المعروضات ما يفيد الناظر اليه فوائد علمية جمة ولو لم يكن طبيباً كالامثلة التشريحية والباثولوجية والجراحية واطوار تكوّن الاجنة وما اشبه مما يطول شرحه ويشعر الناظر اليه انهُ في مدرسة يدرس فيها طبائع الاجسام الحية وكيفية بنائها ونموها والعوارض التي تعرض لها والاساليب التي تستعمل لحفظ صحتها موجودة وردها مفقودة وفي الاساليب التي تلك بها وفيات الاوربيين وزاد عددهم رغماً عن قلة مواليدهم

ومن فصول هذا الباب الآلات الموسيقية ووجهُ وضعهِ هنا في ما نظن ان الموسيقى قسم من العلوم الرياضية . والآلات الموسيقية الكبيرة والصغيرة من ذوات الاوتار وذوات النفخ وذوات الصفائح من اعظم ما عرض في هذا المعرض ولاسيما البيانّات منها وقد تبارت معاملها الكبيرة في فرنسا وانكلترا والمانيا واميركا وروسيا وايطاليا وحاول كل معمل منها ان يفوق غيرهُ في تفخيم معروضاتهِ وتنويعها واتقانها علماً ان الاوربيين يؤثرون الموسيقى كما يؤثرون التصوير وان اغنياء الارض واهل الجاه فيها لا يبخلون بثمن على آلة موسيقية مهما كانت ثمينة وان هذه الآلات قد صارت الآن من الحاجيات في البلدان الاوربية والاميركية فلا تجد بيتاً من بيوت الاغنياء والاواسط خالياً منها حتى الملوك الذين لم يذهبوا الى هذا المعرض ارسلوا نوّابهم يبتاعون لهم من آلاتهِ الموسيقية التي حكم المتحكمون انها تفوق غيرها كما فعل مولانا السلطان فقد رأينا واحداً من البيانات كتب عليهِ ان جلالة السلطان اشتراهُ . ولم يقتصر الصناع على اجادة آلات هذه المعروضات حتى تكون اصواتها على اعجبها واشدها اطراباً بل بالغوا في دهن خشبها حتى صار كالمرآة في صقلهِ وكطاقات الازهار في نقشهِ . وقس على ذلك الآلات الموسيقية الصغيرة كالكمنجا والقلون والمزمار . واستنبط الاميركيون آلة ذات اصابع توضع على

البيانو وتدار فتضرب عليهِ الانغام من نفسها باصابعها . وعرض واحد آلة موسيقية كالارغن الصغير يديرها بدولاب فتخرج منها اصوات موسيقية مختلفة متفقة كأنها اوركسترا او موسيقى عسكرية كثيرة الآلات فيها من ذوات الاوتار وذوات النفخ والصنوج والطبول وما اشبه

اما رسوم التمثيل ويراد بها الرسوم التي تنصب في اماكن التمثيل كأنها صور الاماكن التي جرت فيها حوادث الروايات فقد ابدع الفرنسويون في عرضها مصغَّرة وعرضوا معها مشاهير الممثلين والممثلات بالثياب التي يلبسونها وقت التمثيل حتى اذا نظرت اليها حسبت نفسك جالساً في اوبرا باريس او مسرح آخر من مراسحها ترى الروايات الشهيرة تمثل فيها

ولما رأيت الخرائط والكرات والآلات الجراحية والموسيقية والفلكية قلت هذا ميدان جرى فيهِ علماء العرب ومن انضمَّ اليهم من الروم والترس والسريان وكان لهم فيهِ الباع الاطول والقدح المعلَّى فعلى مَ لم يعرض لهم شيء فيهِ . اين خريطة الشريف الادريسي وكرة هرون الرشيد ومشارط الامام الرازي وعود ابرهيم الموصلي ومزولة ابن الهيثم وزيج ابي عبد الله البتَّاني واين كتبهم في الطب والتعاليم في الطبيعيات والرياضيات والبصريات . اين المنازير التي عرفوا بها الثقل النوعي والآلات التي قاسوا بها علوَّ الهواء ومحيط الارض وانكسار النور بل اين الامم التي سكنت مصر والشام والعراق منذ اربعة آلاف سنة فما فوقها الى سبعة آلاف سنة. لو بعثت الآن كما كانت في عهدها او لو انشئ هذا المعرض في عصرها لاشتركت فيهِ ولم تخجل وعرضت من آلاتها الهندسية والفلكية ما تفاخر بهِ غيرها من امم هذا العصر . اما نحن ابناء مصر والشام والعراق ابناء هذا العصر خاتمة القرن التاسع عشر فليس عندنا شيء نستطيع عرضهُ في هذا الباب غير ما تجدهُ في مطافئ اسلافنا وخرائب مدائنهم ومتاحف الممالك الاوربية ومكاتبها مما اكتشفهُ علماء اوربا في انقاض الهياكل وخزائن الجوامع والكنائس من التحف والنفائس . وقد بلغ من انحطاطنا اننا لم نعد نفهم كتب اسلافنا ولا نعنى بحفظ شيء من آثارهم فنبيعها لاول طالب من الاوربيين لو نقوِّمها اذا كانت من الذهب والفضة ولو فاقت قيمتها ما فيها من المعدن الف ضعف . ولا نقول ان الكتب القديمة والادوات القديمة تغني عن شيء جديدة ولكن لو احتفظنا بذلك القديم مئة الف سنة او الفي سنة واتبعنا سنَّة الارتقاء التي اتبعها الاوربيون لكنَّا نفضلهم الآن اكثر مما يفضلوننا والاَّ ففي عقولنا نقص وفي اجسامنا خلل وهذا ما لا نسلم بهِ ولو جدلاً ولا دليل على صحتهِ بل الادلة متوفرة على ضدهِ لان ابناءنا الذين يدرسون في مدارس الاوربيين يساوونهم او يفوقونهم فلا بدَّ من عوارض اخرى عرضت على البلدان الشرقية فحقت عمرانها ومنعت شعبها من الارتقاء

وجملة القول اني خرجت من هذا الباب كئيباً كاسف البال كما خرجت من اكثر ابواب المعرض لما رأيتهُ من الفرق الكبير بيننا وبين غيرنا من امم الارض

والباب الرابع في الهندسة الميكانيكية وهو اربعة فصول (١) فصل الآلات البخارية و(٢) فصل الآلات المتحركة بقوة طبيعية مثل مطاحن الهواء والماء والآلات التي تدار بالهواء المسخن والغاز والنشادر والحامض الكربونيك واللوالب والانقال وما شاكل ذلك و(٣) الآلات التي يحركها غيرها كالسيور والسلاسل والطنبات والمطافىء والمضاغط والمخارط

وغني عن البيان ان هذا الباب من اوسع ابواب المعرض لاننا في عصر الآلات من بخارية وغير بخارية والآلات البخارية الشأن الاكبر فيهِ وهي قوتهُ المحركة لآلاتهِ المختلفة إما مباشرة وإما بعد تحويل قوتها الى كهربائية . وكانت قوَّة البخار الذي ادار آلات معرض باريس السابق خمسة آلاف حصان فوضع في هذا المعرض آلات قوتها عشرون الف حصان واذا دعت الضرورة اداروها بقوة اربعين الف حصان . ومن هذه العشرين الف حصان خمسة عشر الفاً تستعمل في توليد النور الكهربائي لانارة المعرض وخمسة آلاف حصان لادارة آلاتهِ

ومراجل الآلات البخارية منتظمة في بنائين كبيرين داخل المعرض طول كلٍّ منهما ١١٧ متراً وعرضهُ ٤٠ متراً الايسر منها لادارة الآلات الفرنسوية والايمن لادارة الآلات الاجنبية وفيهما المراجل الكبيرة لتوليد البخار والى جانبيهما مدخنتان كبيرتان شاهقتان مزخرفتا البناء صُنعتا لتكونا مثل سائر ما في المعرض آية في الجمال والاتقان لكنك ترى قتام الدخان يتفجر منهما في اكثر ساعات النهار ويسرق فوق المعرض والمدينة فيكمدُّ لهُ قلب من اعتاد صفاء الجو في بلاد النور والصفاء. وقد أُنفق على بناء كل مدخنة منهما اكثر من مئتي الف فرنك . وهنالك سكة حديدية تمر امام المراجل كلها لجلب الوقود اليها

وقوة هذه الآلات البخارية تحوَّل الى قوَّة كهربائية قبل توزيعها على آلات المعرض المختلفة لادارتها بها فتراها تدور كلها بالكهربائية من مطابع ومخارط ومغازل وانوال وآلات لصك النقود وضرب النياشين وعمل الريش والبرانيط والجزم وما اشبه ولولا ذلك لتعذَّر وضع هذه الآلات كلها في المعرض وادارتها بالبخار فيهِ وهذا لا ينفي ان بعض آلاتهِ يدار بالهواء المضغوط او غاز النشادر او غاز الحامض الكربونيك او زيت البترول

ومن الغريب ان الدول الصغيرة مثل سويسرا والجكا ناظرت الدول الكبيرة في هذا الباب فترى في قسم سويسرا آلة بخارية صغيرة طولها نحو متر وعلوها متر ونصف وعرضها اقل

من متر وتوتها مئة وثلاثون حصانًا . ولم اكن اتصوَّر انهُ يمكن عمل آلة قوية بهذا المقدار وهي صغيرة الى هذا الحد . وفيهِ آلة بخارية كبيرة قوتها ١٧٠٠ حصان وأخرى قوتها ١٢٠٠ حصان وقطر دولابها ستة امتار وهو يدور مئة دورة في الدقيقة فيقطع محيطهُ اكثر من ميل كل دقيقة من الزمان . ومن الآلات البخارية الكبيرة التي عرضتها بلجكا آلة رابضة في قسمها كالجبل قوتها الفا حصان وقطر دولابها سبعة امتار وآلات كثيرة من انواع مختلفة

والظاهر من هذا الباب ان الاوربيين لا يقصرون صنائعهم على ما تنتجهُ ارضهم بل يجلبون اليها الحديد والوقود اذا لم يكونا فيها ويصنعون كل ما يصنعهُ غيرهم من الآلات والادوات . والادوات المصنوعة في البلاد لاهلها تفضل الادوات التي تجلب اليها من بلاد أخرى، لان التجارة تتلف الصناعة غالبًا اي ان التجار يطلبون البضائع الرخيصة الثمن لكي يسهل عليهم بيعها ويكثر ربحهم منها . وقد اذهلني الفرق الكبير بين الادوات التي يستعملها الاوربيون في بيوتهم والادوات التي يجلبها تجارنا من بلادهم فان الاولى تفضل الثانية من كل وجه كأنَّ التجار لا يجلبون الاَّ ابخس المصنوعات او كأنَّ المعامل تستخفُّ بالبلدان الشرقية فترسل اليها نفاية مصنوعاتها او تصنع لها ما يسرع تلفهُ وبذلك تُستنزَف ثروة البلاد فاذا لم يكن لادخال المعامل الصناعية الى بلاد المشرق غير هذا السبب فكفى بهِ سببًا ليحمل فضلاء بلادنا على الاهتمام بامر الصناعة ويحمل الحكومة على تسهيل الشاء المعامل الصناعية ولو اضطرَّت ان تعفيها من الرسوم وتساعدها بالاموال

والباب الخامس في الكهربائية وفيهِ خمسة فصول وهي (١) فصل الآلات المولدة الكهربائية والدائرة بها و (٢) فصل استعمال الكهربائية في الكيمياء و (٣) فصل النور الكهربائي و (٤) فصل التلغراف والتلفون و (٥) فصل بقية ما تستعمل فيهِ الكهربائية

واذا كان البخار اقوى قوات الطبيعة فالكهربائية اعجبها واعظمها نفعًا وقد تفنَّن الاوربيون في طرق استعمالها على حداثة عهدهم بها حتى بانوا يدهش كل من ينظر الى اعمالهم الناس بالاعمار وبقدرها قدرها . فمن حك قطعة للكهرباء على ثوب من الصوف واظهار قوة تكفي لجذب قصاصة الورق ومن وضع صفيحتين صغيرتين من المعدن في سائل حامض واظهار قوة تكفي لتوليد شرارة صغيرة اتصل الاوربيون والاميركيون الى عمل آلات تحوّل قوة البخار بل قوة الشمس العظيمة الى قوة كهربائية . واذا لم يكن من هذه الآلات غير ما عرض منها في هذا المعرض فكفى بها دليلاً على مقدرة الاوربيين وعلو همتهم كما ترى في هذا الجدول

عرضت فرنسا	١٧ آلة	مجموع قواتها	١٤٥٠٠	حصان
وعرضت المانيا	٤ آلات	" "	٠٧٥٠٠	"
" النمسا	٤ "	" "	٠٤٧٠٠	"
" انكلترا	٣ "	" "	٠٣٥٠٠	"
" بلجكا	آلتين	" "	٠٢٢٠٠	"
" ايطاليا	"	" "	٠١٨٠٠	"
" سويسرا	٣ آلات	" "	٠١٧٠٠	"

لكنهم لم يقفوا عند هذا الحد بل استخدموا مجاري الانهار ومنحدر الشلالات وحوّلوا قوة جري الانهار ومدّ البحار الى كهربائية فاداروا بها المعامل وولدوا النور الكهربائي واستفادوا مما كان يذهب هدرًا

وقد تقدم ان كل الآلات والادوات التي في هذا المعرض من مطابع ومساكب ومخارط ومغازل وانوال وما اشبه تدار بالكهربائية اي بقوة البخار التي تحول الى كهربائية في الآلات الكهربائية المغنطيسية وتجري على الاسلاك المعدنية ومعلوم ان قوة البخار تحصل من احتراق الفحم الحجري في الآلات البخارية وقد وصلت القوة الى الفحم من نور الشمس الذي اختزنت به دقائقهُ في خشب النباتات القديمة التي نمت على وجه الارض في العصور الجيولوجية . نور الشمس الذي بزغ منها منذ ملايين من السنين ووصل الى الارض مع حرارتهِ خُزنت قوتهُ في الفحم الحجري وهي تظهر الآن في تمديد بخار الماء وتحريك الآلات المختلفة وانارة مقاصير هذا المعرض وابراجهِ بشموس كهربائية تماثل شمس السماء سطعانًا

وممَّا يستوقف النظر ويدعو الى الاستعبار في هذا الباب الآلات القديمة التي استنبطها كبار العلماء لاكتشاف نواميس الكهربائية والآلات الكهربائية التي صنعت اولاً ثم تدرجت في الاتقان حتى بلغت ما بلغتهُ الآن فيرى منها تاريخ ارتقاء هذا العلم في مراقي الكمال من آلات تلغرافية قديمة من ذوات العقارب ومصابيح كهربائية صنعت سنة ١٨٧٤ وآلة تلغرافية تكتب الاشارات كتابة على ورق كياوي صنعت سنة ١٨٥٢ وآلات لتوليد الكهربائية بالفرك ونحو ذلك من الآلات التي صنعها علماء الكهربائية انفسهم مثل امبر ورمكرف والكتب القديمة في الكهربائية والمغنطيسية مثل مقالات جلبرت على المغنطيس باللاتينية وتاريخ طبعها ١٦٠٠ وهي اقدمها ومقالات كرخر وهي من اواسط القرن السابع عشر وترجمة كتب فرنكلين العالم الاميركي وهي من القرن الثامن عشر فانها طبعت في باريس سنة ١٧٥٢

وكتب ارستد وبكرل وده لاريف واراغو واوهم وكلها من هذا القرن

تاريخ حديث جدًّا لكنهُ مشحون بالعجائب واعجب ما فيهِ ما حدث في النصف الاخير من هذا القرن ولم تزل عجائبهُ تتوالى واحدثها الفونوغراف او التلفون الذي اشرتُ اليهِ سابقًا وهو من مخترعات مهندس دغركي اسمهُ فلدمار بولسن . والدنمرك من اصغر ممالك اوربا واضعفها لكن العلم مستقلٌّ عن قوَّة الملك وسعة الممالك ورجالهُ ينبغون من كل البلدان ولكنهم لا يستطيعون ان يظهروا قواهم و يمرنوها و ينتفعوا بها الاَّ حيث كثرت المعدَّات وعرف الناس فوائد المخترعات

وقد عرضت الآلات التي تستعمل فيها الكهربائية للاعمال الكيماوية كاستخراج الاليومنوم من مركباتهِ على اسلوب رخص بهِ ثمنهُ وكثرت الآنية والادوات المذهبة بهِ حتى ان آنيتهُ تباع الآن في اسواق القاهرة ارخص مما يساوي حجمها من الآنية النحاسية وهي تفضل الآنية النحاسية في انها لا تحتاج الى تبييض ولا تتولَّد منها املاح سامَّة . وكتطهير الماء بالاوزون المتولد من الشرار الكهربائي وكاستحضار الفلور وبعض العناصر النادرة . كما عرضت اساليب التنوير الكهربائي وانواع التلغراف والتلفون وكل ما تستعمل الكهربائية فيهِ كالطبخ والتدفئة والتطييب والتطهير . ويكاد المعرض كلهُ يكون معرضًا لكهربائية وآلاتها وما تستخدم فيهِ كما هو معرض للبناء والنقش . فان كل ما فيهِ من الآلات والادوات يدار بالكهربائية ومصابيحهُ تنار بالكهربائية والناس يتنقلون فيهِ من جهة الى اخرى بالسكة الكهربائية او بالمصاطب التي تدور بالكهربائية و يصعدون على طبقاتهِ بالروافع والسيور الكهربائية ويجولون في شوارع باريس حولهُ بمركبات يسير الكثير منها بالكهربائية . وقد كان لالمانيا النصيب الاوفر من المعروضات الكهربائية كما لها النصيب الاوفر في سائر الابواب والربع الاكبر من هذا المعرض حتى يقال انها ربحت منهُ كما ربحت فرنسا او اكثر

وليس لمملكة من الممالك الشرقية نصيب من هذا الباب الاَّ اليابان فانها عرضت بعض الآلات الكهربائية وهي تدلُّ على براعة مطلع تنبيه بجنس الخاتم . وقد رأيتُ قُبيل ذهابي الى المعرض آلة كهربائية استنبطها احد المستخدمين في التلغراف المصري لاقفال الابواب وفتحها وكنتُ اود ان اراها معروضة ولو في زاوية من زوايا لعلي ان لابناء الشرق شيئًا يستحق العرض فيهِ لكن الرجل ايطالي الاصل مولود في هذا القطر فيتبرأ الوطنيون منهُ ولو حازت آلتهُ اسنى وسامات الشرف

والباب السادس في الهندسة المدنيَّة والنقل وفصولهُ سبعة الاول في المواد والرسوم والاساليب المتعلقة بالهندسة المدنيَّة . والثاني في الرسوم والامثلة المتعلقة بالمباني العمومية .

والثالث في العربات والمركبات غير مركبات سكك الحديد. والرابع في العدد والسروج وما يتعلق بها . والخامس في سكك الحديد والترامواي . والسادس في الوسائل اللازمة للتجارة البحرية والسابع في البالونات وطرق السير في الهواء

وقد ضاق المعرض عن هذا الباب فعُرض جانب كبير منهُ في اماكن اخرى كما سيجيء. قال الدكتور نمر في ما كتب بهِ الى المقتطم " اما القصر الذي في شان دومارس (لمعروضات هذا الباب) فقد رأيت على واجهتهِ افريزاً من ابدع ما صنع الصنّاع زانهُ مزخرفٌ بنقوش وصور كثيرة نادرة منسوقة عليهِ نسقاً واحداً يصوّر للرائي جميع الصور والاطوار التي تقلبت وسائط النقل عليها من اول تاريخ الانسان الى الآن فهناك صورة رجال من المصريين القدماء ينقلون تمثالاً لابي الهول بجانب الاهرام وصور الجمال والهجن تضرب في الصحراء. وصور الفيلة تحمل الهنود على ظهورها وتسير بها من مكان الى مكان . وصور حيوان الرنّة يجرُّ المركبات التي يركبها اهالي الاصقاع الشمالية . وصورة اول راكب للماء في زورق وصورة اول هودج تحملهُ الدواب وصورة اول مركبة تسير بالبخار "

وكل فصل من فصول هذا الباب معرض كبير اشتركت فيهِ ممالك الارض وفاقتهن روسيا في رسوم سكتها الحديدية التي خرقت بها بلاد سيبريا من طرف الى طرف ووصلت الى آخر بلاد الصين مما يلي المشرق حتى يتيسّر لها ارسال جنودها اليها ونشر تجارتها فيها . ومن يمعن نظرهُ في رسوم هذه السكة وامثلتها في قصر روسيا الخاص بامملاكها الاسيوية يقف مدهوشاً من مهارة الروس وعزائمهم فان الجبال والاودية والانهار والبحيرات والثلوج والرمال لم تثبط عزائمهم ولا وقفت في سبيل تقدُّمهم

وفصل العربات والمركبات حافل بما تفنن الصناع في عملهِ وزخرفتهِ لان ما يستعمل مراكب للملوك والامراء والاغنياء لا يُضنُّ بشيء على اتقانهِ . ففيهِ بعض المركبات القديمة مما كان يركبهُ ملوك اوربا وهي مطلية بالذهب مشمولة بالنقوش والزخارف على ما فيها من ضخامة العجل وخشونة المحاور . ولا نظن ان ملكاً من ملوك هذا الزمان يفضل ركوبها على ركوب مركبة ساذجة عجلها من الكاوتشوك ومحاورها تدور على الكرات لان وجهة الناس الآن نحو الراحة والرفاهة كما كانت منذ مئة سنة نحو العظمة والابهة . وقد يركب الملوك والعظماء المركبات المزخرفة الآن لكنهم يفعلون ذلك في اوقات خاصة جرياً على العوائد القديمة واتباعاً للتقاليد المرعية التي يعسر اهمالها دفعة واحدة

"وقد عرض ٤٠٠ عارض ما لا يوصف من مركبات الركوب وعربات النقل وانواع

الدرّاجات والمركبات التي تجري بقوة الحرارة او الكهربائية والمركبات الكبيرة المعروفة بالاتنيبوس مما تجرّهُ الخيل او يساق بقوة الحرارة . ولكثرة ما عُرض في هذا الفصل أُلحق بهِ فصل اضافي في جنان فنسان حيث يجد الانسان معرضاً عظيماً من الدراجات والمركبات المتحركة بقوة الحرارة او الكهربائية من فرنسوية وغير فرنسوية "

وفصل السروج والعدد وكل يلزم للخيل والمركبات جميل بديع يريك غرام الاوربيين بالصافنات الجياد حتى كأنهم ولدوا على صهواتها . وقد رأيت في رحلتي الماضية الى باريس بعض السروج التي كان امراء المماليك يسرجون جيادهم بها واخذها الفرنسويون من مصر وكنت احسبها من اثمن ما صنعهُ الصناع فاذا في هذا المعرض ما هو افخر منها واثمن ولا تندر العدد الذهبية فيهِ . وغرض الناس الآن في ما يصنعون من العدد والمركبات راحة الراكب وركوبهِ كما تقدّم وقد بلغوا الغايتين معاً في العجل الذي يحيط بهِ اطار من الكاوتشوك ويحورهُ كراتٌ صغيرة او اسطوانٌ دقيقة يدور عليها فتزيل الفرك ولم يقفوا عند هذا الحد بل رأوا ان يريحوا الخيل من خدمة الانسان بعد ان حملتهُ وحملت امتعتهُ منذ الوف من الاعوام فصنعوا المركبات التي تسير بالبخار او بالكهربائية وهم يفكرون الآن في استخدامها في ساحات القتال كما تستخدم في شوارع المدن

ومعروضات السكك الحديدية ملأت جانباً كبيراً من شان دومارس والمباني المتصلة بقصر التروكادرو ومن جنان فنسان . ومن اول ما يستوقف النظر منها القاطرة البخارية التي صنعها جورج ستفنصن سنة ١٨٣٠ وهي اول قاطرة بخارية سارت على سكة حديدية عمومية وفتح الخط الذي صنعت لهُ سنة ١٨٣١ تراها صغيرة بسيطة وقد عرضها البعض الذي سار ونص وعرضت بجانبها قاطرة اخرى صنعت سنة ١٨٤٤ وهي اكبر منها واجمل كثيراً . ومن ثم والقواطر تزيد حجماً واتقاناً حتى بلغت ما بلغتهُ في قاطرة اميركية كبيرة جدّاً عرضت في جنان فنسان قطر العجلة من عجلها اربع اقدام . وهناك مركبات تسير بالكهربائية وتقطع نحو مئة ميل في الساعة وقطرات لشركات حديدية وكلها فاخرة الاثاث والرياش وبينها مركبات نقل لسكة الحديد المصرية صُنعت بسپنغ اميركا وروعيت فيها المتانة لاغير لان العجل هو مزدوجة العجل ثقيلة جدّاً لا ندري ما وجه تفضيلها على غيرها من المركبات

اذا اعتبر المرء ان قوّة البخار عُرفت من ايام هيرون الاسكندري الذي نشأ في القرن الثالث قبل المسيح فبقي اكتشافهُ مدفوناً في بطون الاوراق اكثر من الفي عام ولم يُستفد منهُ الاّ في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن عجب من التقدّم السريع الذي بلغتهُ البشر في

القرن التاسع عشر ورأى انهُ يفوق تقدُّمهم في خمسين قرنًا قبلهُ

والفصل المتعلق بالتجارة البحرية " أُفرد لهُ قصر عظيم قائم برأسهِ على ضفة نهر السين يعرف بقصر الملاحة وفيهِ ما يفوق الحصر من المواد والعدد التي تبنى بها السفن وتجهز والآلات والعدد المستعملة في الترسانات والحياض التي تبنى السفن فيها والمستعملة لصنع عدد البواخر وما لا يحصى من مثل السفن الصغيرة والكبيرة على اختلاف انواعها من بخارية وشراعية وقوارب تسير بالمجاذيف . ومن المثل التي يرى بها الناظر تركيب تلك السفن وترتيب داخلها بما فيهِ من الآلات والادوات والاثاث والرياش وعلم جرًّا . وهناك ايضًا كثير من الكرَّاكات والمراجل والآنية التي يخزن الماء ويخمر فيها والمرشحات والمصافي والرواويق والمقطرات والمكثفات (كندنسر) والطلبات والعدَّادات والزناجير والمراسي والروافع والاعلام والرايات وآلات التسوير والتهوية والتسخين والتجميد والكهربائية والساعات والحكوك والاسطرلابات وسائر الآلات الفلكية والجوية التي تستعمل في الملاحة . وفوق ذلك كثيرًا من سفن النزهة كاليخوت والزوارق البخارية والقوارب التي تساق بالمجاذيف ومنها ما يدهش العقول بحسن ترتيبهِ ونفيس اثاثهِ ولطف منظرهِ . وماذا اقول عما هناك من اجهزة الغوص والعوم وانقاذ الغرقى وانتشال ما يغوص الى قعر الماء واغاثة السفن المشرفة على الغرق وآلية صب الزيت على الامواج الهائجة لتسكينها ورفع السفن التي غرقت من تحت الماء والرسوم والجداول والخرائط والمطبوعات الخاصة بالملاحة . فانهُ ان كان الناظر يجل والباصرة تكل من رؤيتها فكيف يستطيع القلم وصفها . ولذلك اختم كلامي عنها بذكر خريطة نافرة رأيتها هناك لتمثيل ترعة السويس ومعها الرسوم والمقاسات التي كان دولسبس يتبعها في حفر تلك الترعة وكذلك كرَّاكات وسفن صغيرة على مثال الكرَّاكات التي تطهر الترعة الآن ومثال السفن التي تسير فيها .

وفصل الطيران في الهواء ومعروضاتهُ تهمُّ المشتغلين بهذه الصناعة على الخصوص ويرى الناظر هناك آلة على صورة خفاش كبير طولهُ من طرف جناحهِ الايمن الى طرف جناحهِ الايسر ١٥ مترًا يجلس الانسان في قفص داخل بدنهِ ويطير بقوة آلة تدور في اعلاهُ وقد جرب هذا الخفاش سنة ١٨٩٧ فبدا فيهِ نقص أخَّر تجربتهُ بعد ذلك ولكن مخترعهُ الموسيو آدر لا يزال يزيدهُ اتقانًا واحكامًا . وهناك صور آلات اخرى للطيران ومجموعة تمثل تاريخ الطيران من عهد اكتشاف البلون وصور جماعة من الذين اشتهروا في ركوب الهواء . ويذكر في هذا الفصل بلونين مقيدين بحبال يطيران كل يوم من جوار المعرض ويركبهما من شاء بالاجرة . ولا اظنهما يعلوان عن برج ايفل الا نادرًا "

وفصل الطيران من اسخف الفصول واقلها جدوى لان الطيران غاية لا ينالها الانسان وقد عاد طلاً بهُ بخفي حنين حتى اضطرّ المخترع مكسيم ان يهمله بعد ان انفق عليهِ ستة عشر الفاً من الجنيهات ولكن سائر فصول هذا الباب من اهم ما اشتغل بهِ البشر كما هو من اقدم ما استعملوهُ . ولو بُعث الاشوريون والمصريون والفينيقيون ورأوا هذا العرض ولم يروا فيهِ شيئاً لابنائهم لا عَرَبةً ولا مركبةً ولا مركباً ولا اسلحةً من الاساليب التي استعملوها في نقل المسلاّت من اصوان الى الاسكندرية والارز من لبنان الى اشور والذهب من اوفير الى اورشليم والطرق الهندسية التي بنوا بها اهرام مصر وقصور بابل وهيكل سليمان وايوان كسرى — لو بُعثوا ورأوا ان العمران الذي وضعوا اركانهُ وشادوا بنيانهُ بقي حيثما تركوهُ ثم عاد القهقرى الى ان اضمحلّ ولم تبقَ الاّ آثارهُ واياماً لا يفقهون لها معنًى ولا يدركون لها فحوًى — لو بُعثوا ورأوا ذلك لفاضت عيونهم دماً وفضّلوا سكنى القبور على مشاهدة ما اصاب ابناءهم من الذل والصغار وما حلّ ببلادهم من البوار والدمار . هذا وقد ملّ القارئ من الاطالة في وصف هذه الابواب فارجيء الكلام على باقيها الى الاجزاء التالية

مستقبل الصين

لجناب الامير شكيب ارسلان

الزراعة في الصين

العضو الثاني من الاعضاء الرئيسة الممتلئة سلامةً وحياةً من جسم هذه المملكة هو الزراعة ولعمري مهما علا كعب الصينيين في الصناعة وفضلوا فيها سواهم واطاعتهم لهم في تذليل الجماد لخواطرهم وتسخيرهم المادن لتصوراتهم فان ايديهم في حراثة الارض اطول وملكتهم في الزراعة لا تقل رسوخاً عن ملكتهم الصناعية وبالاجمال فان لم تجاوز الزراعة عندهم شاو الصناعة فانهما في وزن واحد من الاتقان وتقدير واحد من الايفاء وعليهما معوّل سكان هاتيك المملكة في معايشهم وبهما قوام وجودهم. والزراعة محترمة جداً عند الصينيين يشوبها لديهم شيء من التقديس ويمازج اكرامها عندهم ذرورٌ من الاعتقاد الجاهلي بان الزارع عندهم هو الذي يغذي الناس ويكفل لهم اقواتهم حتى ان السلطان نفسهُ يتعهّد بالزارع الاكبر لانهُ هو العائل الاعظم للمملكة والمملكة معولة بهِ. وكان من جملة عوائدهم التي نسخت ان يحرث الارض بيدهِ ثلاثة ايام متوالية في اواخر شهر آذار وهو مرتدٍ ثوب اكثار وكفى بذلك حرمة لمقام الزراعة واكباراً لقدرها في اعينهم